بقية الله

5

آب 2026 م - صفر 1448 هـ

Baqiatollah

نسخة إلكترونية مصغرة من مجلة بقية الله

2 مع الخـــامنئي:
القيم في بيانات سماحة الإمام القائد السيّد مجتبى الخامنئي (حفظه الله)

5 قرآنيـــــات: الشيخ بلال حسين ناصر الدين
قواعد قرآنيّة في تثبيت القلوب (2): المكر السيّئ

9 زمننـــا حسينيّ: تحقيق: علي الأكبر البرجي
المراسم الحسينيّة في البقاع: من شعيرة إلى مشروع مجتمعيّ مقاوم

14 زمننـــا حسينيّ: الإعلاميّ محمد نايف
القصيدة الحسينيّة... تحوّلات بين المنبر والساحة

18 زمننـــا حسينيّ: فاطمة رعد
الدمعة الحسينيّة: حينما يصنع الألم وعيّاً وشفاءً

24 تحقيـــــق: تحقيق: نور رضا
تشييع الإمام القائد: 15 مليون رسالة حبٍّ وتحدٍّ

28 سؤال وجواب: د. أحمد الشامي
من انتصر في الحرب؟

30 مجتمـــــع: د.فاطمة خشّاب درويش
«حَبّات القلوب»: لكلّ طفل شهيد قصة وحُلم

35 مجتمـــــع: تحقيق: زينب نعمة
المبادرات الفرديّة في الأزمات... جبهةٌ أخرى (2)

المشـــرف العـــام
السيّد علي عبّاس الموسويّ

رئيـــس التحـــرير
الشيخ بلال حسين ناصر الدين

مديـــرة التحـــرير
نـــهـــى عـــبـــد الـــلـــه

المديـر المسـؤول
الشيخ محـمـود كرنـيـب

Baqiatollah.msg@hotmail.com

https://baqiatollah.net/

لبنان ـ الضاحية الجنوبية ـ المعمورة ـ الشارع العام ـ مبنى جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة ـ ط2
تلفاكس: 00961 1 466740 ـ ص.ب: 24/53
للاشتراك: 00961 3470011

مع الخامنئي

القيم في بيانات سماحة القائد السيّد مجتبى الخامنئي دام ظله (1)

تُمثّل بيانات سماحة الإمام السيّد القائد مجتبى الخامنئي دام ظله وثائق فكريّة واستراتيجيّة بالغة الأهميّة؛ إذ لا تقتصر على التعبير عن المواقف السياسيّة تُجاه الأحداث والمتغيّرات المرحليّة، بل تؤسّس لمعالم مدرسة فكريّة وثوريّة متكاملة، ترتكز إلى رؤية عقديّة وسياسيّة وحضاريّة واضحة، وتقدّم إطاراً ناظماً لفهم التحدّيات وسبل مواجهتها.

*الغوص في المضامين

تسعى هذه السلسلة من المقالات إلى قراءة مضامين بيانات السيّد القائد دام ظله منذ تولّيه القيادة، والبالغ عددها حتّى الآن أربع عشرة بياناً نُشر في مناسبات ومحطّات مختلفة. ورغم تنوّع سياقاتها الزمنيّة والموضوعيّة، فإنّها تشكّل في مجموعها نسقاً فكريّاً متماسكاً يكشف عن أبرز أفكاره، ويُبرز الأبعاد الثوريّة التي تؤطّر بياناته، والمفاهيم المركزيّة التي يرتكز إليها، بما يسهم في التعريف بشخصيّته الفكريّة ورؤيته الاستراتيجيّة و إبراز ملامح مدرسته في القيادة والعمل الإسلاميّ والثوريّ، بوصفها امتداداً واستكمالاً للمسار الفكريّ والثوريّ الذي أرساه والده، الإمام الشهيد علي الخامنئيّ قدس سره، مع ما يطرحه من خصوصيّات ومعالجات تتّصل بمرحلة القيادة الراهنة ومتطلّباتها. وتأتي هذه الورقة بوصفها قراءة أوّليّة تهدف

إلى استكشاف المرتكزات العامّة لهذا البيان، وفتح الباب أمام دراسات أكثر تفصيلاً وعمقاً في فكره ومنهجه القياديّ.

*أوّلاً: القيم الأكثر حضوراً في البيانات

ثمّة مجموعة من القيم التي تحضر بشكل واضح في بيانات سماحته، نذكر منها:

1. المقاومة: تطرح البيانات مفهومَ "المقاومة" بوصفه خياراً وجوديّاً ومنهجاً سلوكيّاً يتجاوز البُعد العسكريّ، ليغدو أسلوب حياة شاملاً، وصمّامَ أمانٍ لحفظ استقلال الأمّة وهويّتها في مواجهة الهيمنة الغربيّة والصهيونيّة. ويتدرّج القائد في تناول هذا المفهوم من المنطلق الفكريّ العقديّ المرتبط بـ"القيام لله"، وصولاً إلى تجلّياته العمليّة في الساحات المحلّيّة والإقليميّة، عارضاً إيّاه بوصفه حلقة وصل متينة تربط بين شعوب المنطقة وتصنع معادلات القوّة الجديدة. ويتجلّى ذلك بوضوح في تأكيد البيان أنّ المقاومة والصمود استمرّا: "طوال سنوات قيادة هذا القائد العظيم، وقدّمت الشهداء الغوالي كالحاج قاسم سليماني وباقي القادة الكبار في الحرس الثوريّ والجيش كأكبر دليل على مصداقيّة هذا النهج"، وبفضله "تصدّى حبل الله المتين للغاصبين الصهاينة، وطمر تنظيم داعش، وأطلق طوفان الأقصى، وأرهق كيان الاحتلال".

2. الولاية والقيادة: تُمثّل "الولاية" في بيانات القائد العمود الفقريّ الذي يرتكز عليه بناء النظام الإسلاميّ، والضامن الحقيقيّ لاستمرار النهج الإلهيّ والشرعيّة السياسيّة والشعبيّة عبر الأجيال المتعاقبة. ويستحضر القائد مفهوم الولاية انطلاقاً من بُعده التاريخيّ والشرعيّ، ثمّ يربطه بالواقع السياسيّ المعاصر للثورة الإسلاميّة، مؤكّداً التلاحم البنيويّ بين القائد والشعب والمسؤوليّة الكبرى الملقاة على عاتق القيادة لتوجيه الأمّة نحو التكامل؛ بحيث يربط هذا المفهوم بـ"يوم العهد المعهود والميثاق المأخوذ الذي حدّد الله فيه تكليف إدارة المجتمع والنظام الإسلاميّ، وجعل إكمال الدين وإتمام النعمة متلازمين مع الولاية والإمامة المستمرّة للأئمّة المعصومين"، مصرّحاً بعظم المسؤوليّة وصعوبتها بقوله: "إنّ جلوسي في المكان الذي كان موضع جلوس قائدَين عظيمَين، هما الخمينيّ الكبير قُدِّسَ سِرُّهُ والخامنئيّ الشهيد قُدِّسَ سِرُّهُ، أمر بالغ الصعوبة بالنسبة إليّ... سدّ هذه الفجوة لا يمكن أن يتحقّق إلّا بالاستعانة بالله تعالى وبمؤازرتكم أنتم". إذ يؤكّد سماحة الإمام السيّد مجتبى دَامَ ظِلُّهُ، من خلال هذا البيان، أنّ القيادة لا تُمارَس بوصفها سلطة فوقيّة، بل كعلاقة تفاعليّة وجدانيّة وعمليّة تكتسب فاعليّتها وقوّتها من استجابة الجماهير وتفويضها الإيمانيّ للقائد.

3. الشهادة: تطرح البيانات "الشهادة" كحياة مستمرّة ووقودٍ يبعث الملاحم في عروق الأمّة، ويُعيد إنتاج القوّة والوعي والتماسك المجتمعيّ في لحظات المنعطفات التاريخيّة الكبرى. وترتكز بنية البيانات عند تناول الشهادة على الربط الدائم بين دماء شهداء العصر الحاليّ وملحمة عاشوراء الحسين عليه السلام، محوّلاً الرثاء والحزن الشخصيّ والجمعيّ إلى قوّة حركيّة، وعزم قاطع على الانتقام والثأر من المجرمين؛ إذ تؤكّد البيانات أنّه "من بين الحسينيّين رجالٌ، حين تُسفَكُ دماؤهم مظلومين في سبيل الحسين... تنهض الأمّة الإسلاميّة، فيتّصل ذلك الزمان بعاشوراء، وذلك المكان بكربلاء"، مشدّداً على أنّ "أثر الشهيد يفوق أثر الحيّ الحاضر، وأنّ صوته الصادح بالدعوة إلى التوحيد ونصرة الحقّ ومقارعة الظلم والفساد بات أشدّ صدىً".

4. الأمّة: تتجاوز "الأمّة" في البيانات الحدود الجغرافيّة والقوميّة الضيّقة لتتشكّل ككيان حضاريّ موحّد يشمل الأحرار والمستضعفين حول العالم، السّاعين للتخلّص من التبعيّة والاستعمار.

ويخاطب السيّد القائد الخامنئي دام ظله الأمّة باعتبارها جسداً واحداً يمتدّ من إيران إلى لبنان وفلسطين واليمن والعراق وغيرها من الدول، ويرى أنّ تماسك خلايا هذا الجسد هو السبيل الوحيد لإسقاط المشاريع الاستكباريّة، وبناء الحضارة الجديدة؛ إذ يوضح في بيانه أنّه "وبذات السلاح تمّ توثيق عرى الأمّة الإسلاميّة من إيران إلى لبنان وفلسطين والعراق وسوريا واليمن وأفغانستان وباكستان"، معلناً بيقين تامّ أنّ "المستقبل ملك للأمّة الإسلاميّة وحضارتها الجديدة". ويستنتج من هذا الطرح أنّ تماسك الأمّة وقوّتها الحقيقيّة يُقاسان بمدى استجابتها لنداء نصرة المظلومين، وبنائها لشبكة تضامن دفاعيّة واقتصاديّة وثقافيّة عابرة للحدود السياسيّة المصطنعة التي فرضتها القوى الاستعماريّة.

وفي العدد القادم، بإذن الله، نتابع تناول القيم التي تضمنتها بيانات سماحة الإمام القائد مجتبى الخامنئيّ دام ظله.

قرآنيات

قواعد قرآنيّة في تثبيت القلوب (2): المكر السيّئ

الشيخ بلال حسين ناصر الدين

تحدّثنا في العدد الماضي عن سنّة الابتلاء والفتن، وأنّها حقيقة كونيّة ثابتة لا تتخلّف عن الحياة الدنيا، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (العنكبوت: 2-3).

أمّا الآية التي سنتحدّث عنها في هذا المقال، فتتعلّق بسنّة إلهيّة أخرى وردت في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ (فاطر: 34).

وكلمة (يحيق) تعني يحوط ويشمل ويحيط، وهي تُستخدم عادة في سياق سلبيّ، فلا يقال: يحيق به الخير، وإنّما يقال: حاق به المكر أو الشرّ. وهذه الآية الكريمة تثبت سنّة إلهيّة مفادها أنّ من ارتكب سوءاً، فإنّ نتائجه من الأفعال السيّئة سوف تحيط به وتلاحقه ويتأثّر فيها.

*نتائج المكر السيّئ

تجلّياً لهذه السنّة الإلهيّة، يجب أن ننظر إلى المفسد نظرة شموليّة لا جزئيّة. فلا ينبغي للمؤمن أن يغترّ بظاهر قوّة عدوّه؛ فإذا كان المؤمن

يتألّم، فلا يظنّنّ أنّ عدوّه لا يتألّم أيضاً، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ (النساء: 104). وهذا يدلّ على أنّ العدوّ قد يعيش حياة صعبة جدّاً، فالقاتل كيف له أن يرتاح؟ والظالم كيف له أن يطمئن؟ والعاق لوالديه كيف له أن يكون سعيداً؟

قد نراه في الظاهر على غير ذلك، ولكنّه في الواقع يعاني من مشكلات ومساوئ كثيرة في حيا ته .

يجب على كلّ فرد أن يكون على حذر تامّ من كلّ فعل يقوم به تجاه الآخرين، لأنّ الله قد يعاقبه بمثل ما فعل

إنّ نتائج المكر السيّئ ستلاحق صاحبها حتماً. والمكر قد يكون حسناً وسيّئاً، فالله تعالى ينسب لنفسه المكر الحسن فيقول: ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ (آل عمران: 54)، والمقصود به هنا التدبير المحكم لإحقاق الحقّ. أمّا المكر الذي يحيق بصاحبه فهو المكر السيّئ، الذي لا ينزله الله إلّا بصاحبه ولا يصيبه إلّا به.

وفي سياق آيات سورة فاطر، يذكر الله استكبار الكافرين في الأرض ومكرهم السيّئ، ثمّ يقول: ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾. فهؤلاء قد أقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكوننّ أهدى من غيرهم، فلمّا جاءهم النذير ما زادهم إلّا نفوراً واستكباراً. وهذا ما دفعهم للمكر بأهل الحقّ والإيمان، فأنذرهم الله بأنّ هذا الأمر سيعود عليهم، وأنّهم سيجنون ثمار فسادهم.

وقد ذكر الله تعالى هذا المبدأ في مواضع أخرى من القرآن الكريم، كقوله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم﴾ (يونس: 23)، وقوله: ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ﴾ (الفتح: 10)، وقوله: ﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ﴾ (فاطر: 43). فكأنّها قاعدة مطّردة: من بغى يبغ عليه، ومن ظلم سلّط الله عليه من يؤذيه.

*العقاب بالمثل: سنّة إلهيّة

أمّا على الصعيد الشخصيّ، فيجب على كلّ فرد أن يكون على حذر تامّ من كلّ فعل يقوم به تجاه الآخرين، فقد يظلم الإنسان أباه أو أمّه أو زوجته أو أولاده، وعليه أن يحذر من ذلك أشدّ الحذر، لأنّ الله قد يعاقبه بمثل ما فعل. هذه سنّة من السنن الإلهيّة، ولكنّها قد تتبدّل بفعل معيّن، كالتوبة الصادقة والاستغفار والأعمال الصالحة التي قد يرفع الله بها العقاب. ولكنّ الأصل أنّ من يرتكب ظلماً، فعليه أن ينتظر عاقبته.

وهـذه السـنّة الإلهيّة هـي التي تجعلنـا نقـول للمعتديـن والمخادعين: إنّ مكركم وخداعكم سـوف يعـودان عليكم بـإذن الله. وقد أكّـد الله ثبات هذه السـنّة بقولـه: ﴿**فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا**﴾ (فاطـر: 43). فالسـنّة الإلهيّـة أمـر لا يتخلّـف مـا دامـت أركانهـا وشـروطها متحقّقـة، وهـي لا تتبـدّل ولا تتغيّر في مضمونها وشـكلها، وسـوف تقع على صاحبهـا لا محالة.

1. فرعـون: إنّ فرعـون مثـال واضح علـى ذلك، فقـد تمرّد وعانـد كثيراً. ونحـن نعـرف أنّ "فرعـون" لقـب كان يُطلـق علـى حـكّام مصـر القديمة، وليـس اسـماً لشـخص بعينه، بل هـو وصف لـكلّ طاغية من تلك السـلالة الحاكمـة. وقـد مـارس هـذا الفرعـون طغيانـاً كبيراً ضـدّ بني إسرائيـل، وهم ذرّيّـة النبيّ يعقوب عليه السلام الذين اسـتقرّوا في مصر بعـد قدومهم إلى أخيهم يوسـف عليه السلام، وبقوا فيها يتناسـلون ويتكاثرون لمئات السـنين تحت حكم الفراعنـة الذين كانوا يمارسـون عليهـم البطش والتضييق. وعلـى الرغم من كلّ مـا فعله الفراعنة، أرسـل الله سـبحانه لهم مؤمن آل فرعـون، الذي قصّ الله خـبره في القـرآن الكريـم، فكانـت العاقبـة كما قال تعـالى: ﴿**فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ * النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**﴾ (سـورة غافـر: 45-46). وبهـذا، عذب الله تعالى فرعـون وكلّ من والاه، ونجّى سـبحانه عبـاده، وهـم مؤمن آل فرعـون والنبيّ مـوسى وأصحابه عليهم السلام.

2. النـبيّ يوسـف عليه السلام: يتجلّـى هـذا المعـنى أيضـاً في قصّـة النـبيّ يوسـف عليه السلام؛ فنلاحـظ أنّ إخوتـه حـين ألقـوه في البـئر كان فعلهـم هذا مكـراً منهم، ولكنّ الله عزّ وجلّ قدّر ليوسـف عليه السلام مسـاراً آخـر منذ لحظة سـقوطه في الجبّ، حـتّى مرّت بـه قافلة[1] فأخـذوه وباعـوه في مصر، وعاش

في كنف عزيزها حتّى شبّ. وكانت هذه المرحلة برمّتها جزءاً من التدبير الإلهيّ الذي أحاط بأحد أصفيائه، وهو النبيّ يوسف عليه السلام.

*متى يأتي النصر؟

إنّ عواقب الأمور قد لا تظهر على الفور، بل تكون ذات طبيعة تراكميّة ترتبط بحكمة الله عزّ وجلّ وتدبيره. فعندما يبشّر الله عباده بقوله: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾ (سورة محمّد: 7)، ويتساءل المرء بعد أن قاتلنا وقدّمنا الجرحى والشهداء، ودمّرت بيوتنا وهجّر أهلنا، متى يأتي النصر؟

والجواب: إنّ النصر لا يأتي بالضرورة في اللحظة التي يختارها الإنسان، بل في التوقيت الذي يقدّره الله. ولهذا، كان الصبر جزءاً لا يتجزّأ من هذه السنّة الإلهيّة، فالإنسان مأمور بالصبر في هذه المرحلة حتّى يصل إلى النتيجة المرجوّة من الله عزّ وجلّ. فقد استمرّت محنة النبيّ يوسف عليه السلام قرابة ثلاثين عاماً، حتّى كشف الله لإخوته عاقبة مكرهم بأخيهم. فهم حين ألقوه في البئر كانوا يهدفون إلى التخلّص منه، بدافع من الحسد والغيرة، ولكنّ الله عزّ وجلّ كان يدبّر ليوسف عليه السلام أمراً لم يكن في حسبانهم. فلمّا رأوه وقد أصبح عزيز مصر ذا هيبة ومكانة رفيعة، أدركوا حينها حقيقة مكرهم، وأنّهم قد ظلموا أخاهم بالفعل.

*أعمالنا تمهيد لليوم الموعود

هذا نموذج تطبيقيّ ينبغي تأمّله لفهم سنن الله سبحانه وتعالى. وهذا المنطق عينه ينطبق على واقعنا المعاصر؛ فالقوى المستكبرة تمارس شتّى أنواع المكر بهدف إضعافنا وتركيعنا وإخضاعنا، إلّا أنّ هذا المكر سينقلب عليهم بإذن الله سبحانه وتعالى. فالنصر المؤزّر المنشود يتطلّب ما نمرّ به اليوم من تضحيات. وإنّ عملنا اليوم يندرج ضمن مسيرة كبرى، غايتها النهائيّة هي التمهيد لظهور الإمام صاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف. فالمؤمن لا يعمل بالضرورة ليرى الفتح العظيم في حياته، بل يعمل من أجله، ويعدّ عمله هذا تمهيداً لذلك اليوم الموعود. فاليوم الذي يظهر فيه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف ليملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما مُلئت ظلماً وجوراً، يرتكز على ما نقدّمه اليوم من جهد وجهاد وفكر وتمهيد، فهو لبنة في صرح ذلك اليوم الذي سيأتي إن شاء الله. لذلك، أنا أقوم بواجبي وأترك الأمر إلى الله عزّ وجلّ، وفي الوقت نفسه أرى أنّ عملي هذا لن يضيع، إنّما هو مدماك من مداميك التمهيد لصاحب العصر والزمان عجّل الله تعالى فرجه الشريف أو للنصر المنتظر بإذن الله تعالى.

الهوامش

(1). جاء في القرآن الكريم: ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾ (يوسف: 19)، والسيّارة هنا بمعنى القافلة المسافرة.

زمننا حسينيّ

المراسم الحسينيّة في البقاع: من شعيرة إلى مشروع مجتمعيّ مقاوم

تحقيق: علي الأكبر البرجي

مع حلول شهر المحرّم من كلّ عام، تتبدّل ملامح مدن البقاع وبلداتها. الرايات السوداء ترفرف فوق الطرقات والساحات، والمجالس الحسينيّة تفتح أبوابها منذ ساعات النهار الأولى وحتّى وقت متأخّر من الليل، فيما تنشط المضائف والهيئات واللجان التطوّعيّة في مشهد يتجاوز حدود المناسبة الدينيّة ليعكس حالة اجتماعيّة وثقافيّة متجذّرة في وجدان أبناء المنطقة.

هذا العام (2026م)، بدت الإحياءات العاشورائيّة أكثر حضوراً واتّساعاً، سواء من حيث أعداد المشاركين أو حجم النشاطات والمبادرات المرافقة. وبين المجالس الحسينيّة والمسرحيّات العاشورائيّة والمضائف المنتشرة على امتداد المنطقة، برز عنصر أساسيّ في هذا المشهد: الحضور الكثيف للشباب الذين شكّلوا العمود الفقريّ للعمل التنظيميّ والخدميّ.

*أرقام تعكس حجم المشاركة

يقول مسؤول قسم الإعلام في حزب الله في منطقة البقاع مالك ياغي: "إنّ الإحياءات العاشورائيّة هذا العام تميّزت بشكل واضح من حيث عدد المجالس والحضور ونوعيّة المشاركين، مشيراً إلى أنّ عدد المجالس الحسينيّة المنظّمة في أقضية زحلة وبعلبك والهرمل بلغ 523 مجلساً، توزّعت بين المجالس النهاريّة والليليّة".

> **"على الطرقات الرئيسة والفرعيّة، وفي الساحات العامّة ومحيط الحسينيّات، انتشرت مئات المضائف"**

ويضيف: "إنّ حجم المشاركة اليوميّة تخطّى 173 ألف شخص على امتداد المنطقة، في رقم يعكس حجم الارتباط الشعبيّ بالمناسبة"، لافتاً إلى أنّ حضور الشباب كان من أبرز سمات هذا العام، إذ شكّلت الفئة العمريّة بين 10 و30 عاماً نسبة كبيرة من المشاركين.

ولم تقتصر النشاطات على المجالس التقليديّة، بل شملت برامج كشفيّة، ورفع رايات الإمام الحسين عليه السلام في عدد من المواقع الدينيّة والمعالم الرمزيّة، إضافة إلى حملات تزيين الطرقات والساحات بالرايات واللافتات التي تحاكي المناسبة.

*المضائف... مساحة للخدمة والتكافل

على الطرقات الرئيسة والفرعيّة، وفي الساحات العامّة ومحيط الحسينيّات، انتشرت مئات المضائف التي تحوّلت إلى جزء أساسيّ من المشهد العاشورائيّ.

ويكشف ياغي أنّ عدد المضائف تجاوز 350 مضيفاً على امتداد منطقة البقاع، قدّمت مختلف أنواع الضيافة، من الطعام والشراب والمياه الباردة والقهوة والحلويات والفواكه والمثلّجات.

لكنّ أهميّة هذه المضائف لا تكمن فقط في ما تقدّمه من خدمات، بل في ما تمثّله من ثقافة اجتماعيّة قائمة على التطوّع والتكافل. فخلف كلّ مضيف عشرات المتطوّعين الذين يعملون لساعات طويلة في إعداد الطعام وتنظيم الخدمة واستقبال الزوّار.

ويصف ياغي هذه الظاهرة بأنّها تجسيد عمليّ لقيم التعاون والمحبّة التي تحملها المناسبة، مشيراً إلى أنّ صور الشهداء كانت حاضرة في معظم المضائف، لتربط بين الخدمة الحسينيّة وذاكرة التضحيات التي قدّمها أبناء المنطقة.

*الشباب... القوّة المحرّكة للمشهد

في الكواليس، وبعيداً عن المنابر والمجالس، كان للشباب الدور الأبرز في إدارة مختلف تفاصيل الإحياءات؛ فبحسب المعطيات الميدانيّة، شارك أكثر من 21 ألف شخص في الأعمال التنظيميّة المختلفة، غالبيتهم من المتطوّعين، توزّعوا على أكثر من 15 هيئة و128 لجنة.

تولّى هؤلاء تنظيم الحسينيّات والساحات، وإدارة حركة المشاركين، واستقبال الضيوف، وتقديم الضيافة، والتصوير الإعلاميّ، وتنظيم النشاطات الكشفيّة، وصولاً إلى أعمال النظافة والخدمات اللوجستيّة.

في هذا السياق، يرى منسّق الهيئات الحسينيّة في قطاع الهرمل في حزب الله محمّد سلهب أنّ الشباب أصبحوا الركيزة الأساسيّة للعمل الحسينيّ المنظّم، موضحاً أنّ قطاع الهرمل يضمّ اثنتي عشرة هيئة حسينيّة تعمل وفق آليّة تكامليّة تجمع بين العمل الدينيّ والثقافيّ والاجتماعيّ. ويشير سلهب إلى أنّ هذه الهيئات لم تعد تكتفي بإحياء المناسبة في بعدها الشعائريّ فقط، بل باتت مساحة لتربية جيل جديد على المسؤوليّة والانضباط وروح المبادرة، حيث يتولّى الشباب فيها مهام التنظيم والإعداد والإعلام والخدمة الميدانيّة بروح عالية من الالتزام. ويضيف أنّ ما يميّز هذه التجربة هو قدرتها على تحويل الحضور العاطفيّ إلى فعل منظّم ومستمرّ، يربط بين المجالس الحسينيّة والنشاطات الكشفيّة والبرامج التوعويّة والمبادرات الاجتماعيّة، ما يعزّز حضور القضيّة الحسينيّة في حياة الناس اليوميّة. كما يؤكّد أنّ هذا العمل الجماعيّ أسهم في ترسيخ ثقافة التطوّع والتعاون بين أبناء المنطقة، وجعل من الهيئات الحسينيّة إطاراً جامعاً يلتقي فيه أبناء العائلات والقرى على قيم واحدة، بعيداً عن أيّ انقسام أو تباعد.

الأستاذ محمّد سلهب

*"واقعة الطفّ"... المسرح الكربلائيّ

من بين المحطّات التي استقطبت اهتمام الجمهور، برزت مشهديّة "واقعة الطفّ" في بلدة شمسطار، والتي تحوّلت خلال السنوات الأخيرة إلى واحدة من أبرز الفعاليّات العاشورائيّة في البقاع.

في السـاحة المخصّصة للعرض، احتشد آلاف المشـاهدين لمتابعة العمل الذي يجسّـد أحداث كربلاء بصـورة مسرحيّة حيّة.

الأستاذ حسين زين

يقـول مخـرج العمـل حسـين زيـن إنّ الهـدف من المشـهديّة هـو إبقـاء قضيّة الإمام الحسـين عليه السلام حاضـرة في الوعي الجمعـيّ، مـن خـلال نقلها مـن صفحات التاريـخ إلى مشـهد بصـريّ ووجـدانيّ يلامـس الجمهـور مباشـرة.

يشـارك في العمـل نحـو 250 ممثّـلاً متطوّعـاً إلى جانـب 60 متطوّعـاً ضمـن اللجـان التنظيميّة والفنيّـة والإداريّة، فيما تبـدأ التحضـيرات الفعليّـة قبـل العـرض بنحـو ثلاثة أشـهر. ويشـير زيـن إلى أنّ المشـهديّة كانـت تتطوّر باسـتمرار خـلال السـنوات الماضيـة علـى مسـتوى النصـوص والمؤثّـرات الصوتيّة والبصريّـة والأداء التمثيلـيّ، مـا جعلهـا محطّـة سـنويّة ينتظرهـا الجمهور.

وعلـى الرغـم من التحدّيـات الأمنيّـة والظـروف الصعبة التي مـرّت فيها المنطقة، اسـتمرّت المشـهديّة في أداء رسـالتها، وقدّمت خلال مسيرتها 29 شـهيداً مـن المشـاركين في الـكادر التمثيلـيّ والإداريّ، إضافة إلى شـهيدتين مـن الأخوات العامـلات في تنظيم الإحياءات، مـا منحها بُعـداً رمزيّاً خاصّاً في نظر القائمـين عليها.

*حضور يتجاوز حدود البقاع

وهكذا، تكشـف الأرقام والوقائع الميدانيّة أنّ عاشوراء في البقاع تحوّلت إلى منظومـة اجتماعيّة متكاملة تشـارك فيها مؤسّسـات وهيئـات ولجان وآلاف المتطوّعين؛ فخلف مئات المجالس وآلاف المشـاركين تقف شـبكة واسـعة مـن العمـل التطوّعـي والتنظيميّ، تسـهم في تعزيـز قيم التعـاون والانتماء والعمـل الجماعـيّ، وتوفّـر مسـاحة لتفاعل الأجيـال المختلفـة ضمن إطار ثقـافيّ وديني موحّـد. وقد امتدّ حضورهـا إلى زوّار قدموا مـن مختلف المناطق اللبنانيّـة، خاصّـة إلى مقـام السـيّدة خولـة ابنـة الإمام الحسـين عليه السلام في بعلبـك، حيث يقـام المجلس الحسـينيّ المركزيّ.

*أربعين الإمام الحسين عليه السلام في البقاع

هـذا وتمتـدّ مجموعـة كبـيرة مـن هـذه الأنشـطة والمراسـم لتربط بين حدثـيْن كبيريْـن في وجـدان البقاعيّـين، بـين عاشـوراء وأربعـين الإمـام

الحسين عليه السلام، فأنت ترى المشهد متّصلاً مدة أربعين يوماً من الحياة مع الحسين عليه السلام. إذ يحيي حزب الله سنوياً منذ عام 2011م ذكرى أربعينيّة الإمام الحسين عليه السلام في مدينة بعلبك، تحت شعار "موكب الأحزان"، عبر مسيرة منظمة يتقدّمها حملة الصور والرايات وكشافة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، ومواكب اللطم الحسينيّ التي تضم آلاف الشباب، إضافة إلى وفود الهيئات النسائيّة المعروفة باسم "جنود الحوراء" كما تحدث ياغي. وأضاف أنّ المواكب تنطلق من ميدان التحرير في مدخل بعلبك الجنوبي نحو مقام السيدة خولة بنت الحسين عليها السلام، حيث يقام مجلس عزاء وزيارة الأربعين، وتُختتم المناسبة بكلمة الأمين العام لحزب الله سماحة الشيخ نعيم قاسم (حفظه الله).

"إنّ الهدف من المشهديّة هو إبقاء قضيّة الإمام الحسين عليه السلام حاضرة في الوعي الجمعيّ"

ويشهد البقاع، من شتورة مروراً ببعلبك وصولاً إلى الهرمل، حشوداً تفوق 50 ألف زائر يوم الأربعين، إلى جانب عشرات الآلاف في الأيام السابقة، وسط تحضير مئات المضائف وتقديم مياه الشرب، والطعام والحلويّات على طول الطريق المؤدي إلى بعلبك جنوباً إلى شتورة وشمالاً إلى الهرمل، بالإضافة إلى تجهيز الخيام والكراسي والشّاشات حول مقام السيدة خولة عليها السلام لتستضيف الزوّار الحسينيّين في حرمها.

في وقت يشهد فيه لبنان تحدّيات اقتصاديّة واجتماعيّة وأمنيّة متلاحقة بسبب الاعتداءات الصهيونيّة الإسرائيليّة، تبرز هذه الإحياءات بوصفها مساحة مهمّة للحفاظ على الهويّة الجماعيّة وتعزيز الروابط الاجتماعيّة، فيما يبقى الحضور الكثيف للشباب مؤشّراً على استمرار انتقال هذا الإرث من جيل إلى آخر، بما يحمله من رموز وقيم ومعانٍ تتجاوز حدود المناسبة إلى الحياة اليوميّة للمجتمع.

زمننا حسينيّ

القصيدة الحسينيّة.. تحوّلات بين المنبر والساحة

محمد نايف*

إنّ تاريخ الشعر الحسينيّ لم يكن على مرّ العصور تاريخاً شعريّاً فحسب، بل كان دائماً وجداناً، ووعياً، وواقعاً. فالشعر الحسينيّ نشأ حول كربلاء، لكنّ الأمر لم يقتصر على نقل الحدث، بل لازمَه بكلّ عصورِه، وتفاعَلَ مع كلّ تحوُّلاتِه المعرفيَّة، والسِّياسيَّة، والثقافيَّة في المجتمعات الشيعيَّة، وبذلك، أضحت القصيدة الحسينيّة اليوم وثيقةً أدبيّةً واجتماعيّةً، يمكنُ من خلالها قراءة تاريخ الإنسان، قبل قراءة تاريخ القصيدة.

بخاصّةٍ أنّ هذه القصائد تتردّد خلال موسمٍ ثابت من أوّل شهر المحرّم حتّى مناسبة الأربعين في العشرين من صفر، من كلّ عام. فما هي أبرز تحوّلات القصيدة الحسينيّة في الذاكرة الشيعيّة تاريخيّاً واجتماعيّاً أيضاً؟

*القصيدة الحسينيّة: سبك شعريّ لإظهار الفاجعة

بين هذه القصيدة الحماسيّة للمدرسة الحسينيّة للرادود العراقيّ الراحل حمزة الزغير، وبين القصائد والمدارس الأخرى التي ظهرت في العراق ولبنان والبحرين على مدى الستّين سنة الماضية، عانت القصيدة الحسينيّة من تغيّرات كبيرة في بنية النصّ الشعريّ، وطبيعة اللحن، ووظيفة المنبر، وعلاقة الجمهور بها، ما يفرض على

المهتمّين بالشأن الحسينيّ قراءة جديدة للقصيدة، بعيداً عن الرغبة في العودة إلى الماضي، أو الاحتفال الأعمى بالجديد.

كمقدّمة أو كمدرسة في القصيدة الحسينيّة، يعدّ شعر حمزة الزغير من أبرزها. فقد كانت القصائد في تلك المرحلة تعتمد على الوزن الشعريّ والسبك المتين على الرغم من شعبيّتها، وتتميّز باستخدام الصور والاستعارات ووجود مضامين تاريخيّة مأخوذة من المقتل أو الرواية. أمّا الهدف من هذا الشعر، فقد كان إظهار الفاجعة وإحياء الحزن، ولذا، كانت الألحان المستخدمة في تلك القصائد هادئة ومتوازنة إيقاعيّاً، حتّى يتمكن الكلام من التأثير في السامع.

> **أصبح النصّ الحسينيّ خطاباً مزدوجاً: فهو يذكر المأساة، ويدعو إلى صناعة المستقبل**

*الثورة الإسلاميّة: قيم عاشوراء تتجدّد

لم يكن هذا الخيار الفنيّ منفصلاً عن طبيعة المرحلة الاجتماعيّة: فالمجلس الحسينيّ كان أداة لحفظ الهويّة الدينيّة والذاكرة التاريخيّة، ولم يكن أداة لتعبئة اجتماعيّة أو سياسيّة. لذا، فإنّ القصيدة كانت تتوقّف عند حدّ الدموع، ولا تتجاوز ذلك إلى رسم مشروع اجتماعيّ أو سياسيّ.

لكنّ التحوّلات الكبرى في العالم الإسلاميّ في أواخر السبعينيّات من القرن العشرين، وبالأخصّ انتصار الثورة الإسلاميّة في إيران، أحدثت تغييراً جذريّاً في وظيفة القصيدة الحسينيّة، بحيث جعل الوعي العاشورائيّ كربلاء مشروعاً دائماً للإصلاح ومواجهة الظلم، وليس مجرّد مأساة تاريخيّة تعود أحداثها إلى عهد بعيد. وقد أثّرت الثورة في لغة القصيدة الحسينيّة، إذ أدّت إلى اختلاط مفرداتها من الجهاد، والاستكبار، والمستضعفين، والحرّيّة، والأمّة، مع مفردات المصيبة الحسينيّة.

كما أصبح النصّ الحسينيّ خطاباً مزدوجاً؛ فهو يذكر المأساة، ولكنّه في الوقت نفسه يدعو إلى صناعة المستقبل، فتحوّلت القصيدة من خطاب وجدانيّ صرف إلى خطاب فكريّ وتعبويّ، ولكن من دون أن تفقد طابعها العاطفيّ.

*لبنان: الحسين عليه السلام رمز الوعي المقاوم

في لبنان، وبسبب تجربة المقاومة الإسلاميّة، تبدّلت معالم القصيدة الحسينيّة، وتغيّرت علاقة كربلاء بالواقع السياسيّ، فلم يعد الإمام الحسين عليه السلام شخصيّة تاريخيّة تُستذكر في موسم العزاء، بل أصبح رمزاً في الوعي المقاوم، تُستكشف من خلاله معاني الصمود والبطولة والتضحية والتحرير.

وهكذا، ولدت صور شعريّة جديدة في القصيدة الحديثة، إذ لم تعد محصورة

بالفـرات والخيم والطـفّ، بل باتت تشـمل الحدود، والشـهيد المعاصـر، والأمّ الصابـرة، والأسرى، والقرى الجنوبيّة. وباتت كربلاء، في نظـر هذه القصائد، إطاراً لتفسـير الواقع اللبنانيّ، وليسـت حدثاً منفصـلاً عمّا يجري. من هنـا، فإنّ هذه القصائـد كانـت تمتلك قـدرة كبيرة على التأثـير في جمهورها، لأنّهـا كانت تعيش الماضـي في الحاضر، وتعُـدُّ الحاضر امتـداداً طبيعيّاً للماضي.

*العراق: ثراء اللّغة والصورة الأدبيّة

أمّـا في العـراق بعـد العـام 2003م، فقد حصل الانفجـار الكمّـيّ والنوعيّ في إنتـاج القصيـدة الحسـينيّة، حيث الانفتـاح الدينيّ، وكـثرة المواكـب، وظهور عشـرات الشـعراء والروادید، وكثرة المـدارس الفنيّة. هذا من ناحيـة الثراء، أمّا مـن ناحية أخـرى، فقد شـكّل ذلك تحدّيـاً جديداً.

ورافق اتّسـاع الآفـاق الإبداعيّة لهـذه المرحلة، موضوعـات جديدة، وتجارب شـبابيّة متنوّعة، وإثراء لجماليّات الأداء الصوتيّ واللحـنيّ، ولم يكن هذا الازدهار الكمّـيّ خاليـاً من بعـض السـلبيّات التي تمثّلـت في ضعف المسـتوى اللغويّ، وتغلغـل العاميّة في الشـعر بدلاً من الفصحى، وسـهولة الكتابـة، وتكرار الصورة الشـعريّة، حـتّى في مواضع كان فيهـا الوزن أكثر وضوحـاً من المعنى.

*البحرين: اعتدال البلاغة والإنشاد

وقـد حـذت المدرسـة البحرينيّة حذو المـدارس الـتي سـبقتها، إلّا أنّها لم تفقـد كلّ خصوصيّاتهـا، فقد بقيـت البحرين، غالبـاً، معنيّة بـالأدب، والعمارة البلاغيّـة، والوزن، والألحـان الجماعيّة التي تعطي للمجلس وقـاره وهيبته. لذلك، فـإنّ التجربة البحرينيّـة أكثر اعتدالاً في الجمع بين الأدب والإنشـاد، وأقلّ انزلاقاً إلى الإيقاع على حسـاب الشـعر، من بعـض تجارب مجالس الإنشـاد الأخرى.

*الإيقاع: التحوّل الأكثر جدلاً

أمّـا التحـوّل الأكـثر جدلاً بـين المحلّلـين هـو انتقـال اللحن الحسـينيّ من أدائـه القديـم التقليـديّ إلى الألحـان العراقيّة القديمـة، ثمّ إلى الألحـان الثوريّة في الثمانينيّـات، ثـمّ إلى الألحان الجماهيريّة الحديثة والتي اسـتفادت من أسـس الأداء والإيقـاع بشـكل أكبر. وعلـى الرغم من أنّ ذلك سـاهم في جذب نسـبة كبـيرة من الشـباب، إلّا أنّ التسـاؤل الذي يُطـرح: هل القصيدة هـي التي تقود اللحـن، أم أنّ اللحن هو الذي يفرض على القصيدة شـكلها و إيقاعها ومفرداتها؟

وهـذا السـؤال لا يخـصّ الموسـيقى فقط، بـل أيضـاً الإبداع بشـكل عام، ذلـك أنّ القصيدة كانت تُكتـب أوّلاً، ثمّ يأتي الـرادود ويلحّنها. أمّـا الآن، فكتابة القصيـدة تكون علـى لحن أو إيقـاع جاهز، وهـذا ليس مجرّد تحـوّل حديث، بل لـه دلالاته العميقـة على علاقة الشـاعر بالمنشـد، وعلى النـصّ بالأداء.

فما بين المتلقّي الذي كان في الستينيّات يبحث في القصيدة عن البكاء والتأمّل، وبين ذاك الذي كان في الثمانينيّات يبحث عن الحماسة والموقف، والجيل الذي عاش انتصارات المقاومة، والذي يجد في القصيدة خطاباً يخصّه ويؤكّد انتماءه، لا يمكن فهم هذه التحوّلات بمعزل عن طبيعة عقليّة المجتمع. إلّا أنّه في العصر الحاليّ، مع انتشار المنصّات الرقميّة ووسائل التواصل الاجتماعيّ، أصبح ثمّة توجّه نحو النصوص الأكثر اختصاراً، والألحان الأسرع، والمقاطع الأكثر انتشاراً، ما فرض على الشاعر الحسينيّ تحدّيات جديدة في الشكل والمضمون.

> **"نّ أسوأ ما يمكن أن تواجهه القصيدة الحسينيّة ليس التجديد، بل اختفاء المعايير"**

وإن كان من الصعب الحكم عليه بصفة إيجابيّة أو سلبيّة، فإنّه من غير العدل أن نرى أنّ التجديد عيب وأنّ المحافظة فضيلة؛ فليس التجديد عيباً، وليست المحافظة فضيلة مطلقة، لكن من الواضح أنّ لنجاح هذا الأسلوب أثره في انتشار القصيدة الحسينيّة، وربط عاشوراء بقضايا الأمّة، وإنعاش الذاكرة الثقافيّة، واستقطاب الأجيال الجديدة بلغة العصر وأدواته، مع عدم تبرير ذلك بالتساهل في جودة النصّ أو التفريط في القيمة الأدبيّة، أو أن تتحوّل القصيدة إلى وسيلة لجمع الحماسة المؤقّتة.

*الحذر من اختلاط المعايير

اليوم، إنّ أسوأ ما يمكن أن تواجهه القصيدة الحسينيّة ليس التجديد، بل اختفاء المعايير. لكن إذا أصبح الوزن أهمّ من الصورة، والسرعة أهمّ من الفكرة، والانتشار أهمّ من الجودة، فاعلم أنّ القصيدة لم تعد تؤدّي رسالتها، حتّى لو كانت من أكثر القصائد انتشاراً ونجاحاً.

لقد أصبح لزاماً علينا إعادة التوازن بين الأدب والرسالة، والجمال والوظيفة، وحرارة العاطفة وعمق الفكرة؛ فالشاعر الحسينيّ عبر تاريخه الطويل لم يكن ليعيش فقط لأنّه أبكى الناس، بل لأنّه صنع وعياً، وربّى أجيالاً، وحافظ على ذاكرة أمّة، وربط بين الإنسان وقيم كربلاء الخالدة.

ومنه، فإنّ مصير القصيدة الحسينيّة لن يكون بالمقدار الذي تحظى به من حيّز الفنون، ولكن بمقدار احتفاظها بأصالتها في دخولها لعصرها، بحيث تبقى الكلمة هي القائدة، واللحن هو الخادم، لا العكس، وتكون كربلاء هي الحاضنة للإبداع، لا المناسبة التي تنفصل عنها بمرور الزمن، أو تتغيّر ملامحها باختلاف الأزمنة، وتبدّل الأذواق.

الهوامش

*شاعر حسينيّ ومدير ملتقى الندب الحسينيّ.

الدمعة الحسينيّة:
حين يصنع الألم وعياً وشفاءً

فاطمة رعد

ليست كلّ الدموع متشابهة؛ فثمّة دموع تنبع من الفقد، وأخرى من الندم، وثالثة من الفرح. لكن ثمّة دموع تحمل في جوهرها معنى أعمق؛ إذ إنّها تخرج من القلب لتطهّر النفس، وتمنح الإنسان فرصة للعودة إلى جوهره الإنسانيّ. ومن بينها تبرز الدمعة الحسينيّة التي ارتبطت عبر القرون بذكرى شهادة الإمام الحسين عليه السلام، لا بوصفها تعبيراً عن الحزن فحسب، بل بوصفها تجربة روحيّة ونفسيّة عميقة تتجاوز حدود الزمان والمكان.

قبل أن نلج إلى قراءة أثر الدمعة الحسينيّة على النفس الإنسانيّة، يجدر التنبيه إلى فكرة أساسيّة مفادها: إنّ المؤمن حينما يبكي الحسين عليه السلام؛ لا يفعل ذلك ليتشافى، بل يبكي لأنّه تأثّر وتفاعل وهزّ كيانه مشهد الظلم وقتل الحقّ، فتتحرّك عاطفته لتصقل نفسه وعقله وإيمانه. هذا المقال سيتحدّث عن الأثر النفسيّ لهذا التفاعل كإحدى نتائج حضور الحسين عليه السلام في وعينا.

فكيف نفهم نفسيّاً "الدمعة المباركة"؟

التالي

السابق

*البكاء في مدرسة الحسين عليه السلام : أكثر من عاطفة

في ثقافات كثيرة، يُنظر إلى البكاء بوصفه علامة ضعف أو انكسار، فيُطلب من الإنسان أن يكبت دموعه وأن يتجاوز أحزانه بسرعة. أمّا مدرسة الحسين عليه السلام، فتقدّم رؤية مختلفة تماماً؛ فهي تعلّمنا أن لا نكتم الحزن بل نواجهه، وأنّ الدموع ليست سدّاً يحبس الإنسان في ألمه، بل نهر يعبر به نحو فهم أعمق لنفسه ولحياته.

لا تدعو المدرسة الحسينيّة إلى البكاء بوصفه انفعالاً عابراً أو ضعفاً إنسانيّاً، بل ترفعه إلى مرتبة الوعي والالتزام. فالبكاء على الإمام الحسين عليه السلام هو في جوهره بكاء على الظلم، وانكسار القيم، والجراح التي لم تلتئم في النفس الإنسانيّة.

"في أجواء الحزن الحسينيّ، تطفو إلى السطح مشاعر الخذلان والفقد والخوف والانكسار"

عندما يبكي الإنسان على الإمام الحسين عليه السلام، فإنّه لا يبكي شخصاً تاريخيّاً فحسب، بل يبكي كلّ موقف خُذل فيه الحقّ، وكلّ لحظة ساد فيها الباطل، وكلّ جرح أخفته نفسه عبر السنوات. ولهذا، يتحوّل البكاء إلى فعل أخلاقيّ وروحيّ يعيد ترتيب علاقة الإنسان بالقيم التي يؤمن بها، ويوقظ فيه حسّ المسؤوليّة تُجاه ذاته ومجتمعه.

*مواجهة الظلّ الداخليّ

يرى عالم النفس السويسريّ كارل يونغ أنّ الإنسان لا يكتمل إلّا حين يواجه ما سمّاه بـ"الظلّ"، أي الجوانب المكبوتة والمنسيّة من شخصيّته ومشاعره. فالألم الذي لا يُعاش، والحزن الذي لا يُعترف به، لا يختفيان، بل يستمرّان في التأثير في الإنسان من أعماقه.

ومن هذا المنظور، يمكن فهم البكاء في أيّام الحسين عليه السلام بوصفه لحظة مواجهة مع الظلّ الفرديّ والجماعيّ. ففي أجواء الحزن الحسينيّ، تطفو إلى السطح مشاعر الخذلان والفقد والخوف والانكسار التي يحملها الإنسان في داخله. وعبر الدموع، تبدأ هذه المشاعر بالتحرّر، ويبدأ الوعي بإعادة التواصل مع الأجزاء المنسيّة من الذات.

إنّ البكاء هنا ليس هروباً من الألم، بل شجاعة في مواجهته. وهو ما يجعل التجربة العاشورائيّة استشفائيّة بامتياز، لأنّها تسمح للإنسان بأن يواجه جراحه بدل أن يدفنها.

*دموع على الجراح القديمة

تتجاوز الدمعة الحسينيّة حدود التجربة الفرديّة لتلامس ما يمكن تسميته باللاوعي الجمعيّ: ذلك المخزون العميق من الرموز والمعاني والتجارب التي تشترك فيها الجماعات البشريّة عبر التاريخ.

في الوجدان الإنسانيّ، أصبح الإمام الحسين عليه السلام رمزاً أبديّاً للحقّ المظلوم، وللكرامة التي رفضت الخضوع، وللإنسان الذي ضحّى بكلّ شيء دفاعاً عن المبادئ. لذلك، فإنّ البكاء عليه لا يقتصر على الحزن لمصابه، بل يستحضر أيضاً جراحاً إنسانيّة أوسع: جرح الخذلان، والصمت أمام الظلم، وفقدان العدالة.

وحين يشارك الإنسان في هذه التجربة الوجدانيّة، قد يكتشف أنّ دموعه لا تنهمر على تلك الملحمة وحدها، بل على آلامه الشخصيّة أيضاً. فكأنّ الإمام الحسين عليه السلام يصبح مرآة يرى فيها الإنسان جراحه الخاصّة وقد تجسّدت في صورة رمزيّة عظيمة تمنحه القدرة على فهمها والتصالح معها.

*البكاء بين الطبّ الشرقيّ وعلم النفس الحديث

في الطبّ الشرقيّ وعلم النفس الحديث، لا يُنظر إلى المشاعر بوصفها حالات عابرة فحسب، بل بوصفها جزءاً من منظومة متكاملة تؤثّر في الجسد والعقل. وعندما يُكبت الحزن أو الألم لفترات طويلة، قد يظهر ذلك في صورة توتّر نفسيّ أو إرهاق جسديّ وأمراض جسديّة خطيرة واضطرابات مختلفة في الحياة اليوميّة. لذلك، يُعدّ البكاء إحدى الوسائل الطبيعيّة التي تساعد الإنسان على تنظيم مشاعره والتخفيف من الأعباء العاطفيّة المتراكمة.

فالدموع ليست مجرّد استجابة للحزن، بل وسيلة فطريّة للتعبير عن المشاعر التي لم تجد طريقها إلى الكلمات. وتشير دراسات علم النفس إلى أنّ التعبير العاطفيّ الصادق يساعد الدماغ على معالجة التجارب المؤلمة بدل إبقائها في حالة نشاط داخليّ مستمرّ، وهو ما يفسّر شعور الكثيرين بالراحة أو الخفّة بعد البكاء.

تخيّل شخصاً فقد والدته أو والده أو عزيزاً على قلبه قبل سنوات. كان يعتقد أنّه تجاوز الحادثة لأنّه لم يعد يتحدّث عنها. لكنّه في كلّ مرّة تُذكر فيها الأمومة أو الأبوّة أو الفقد، يشعر بانقباض في صدره من دون أن يعرف السبب. ثمّ يجلس في مجلس حسينيّ يسمع فيه مشهد وداع أو فراق، فتتدفّق دموعه فجأة. من الناحية النفسيّة، ما حدث ليس استحضاراً

للذكرى فحسب، بل إعادة فتح مساحة عاطفيّة كانت مغلقة. الدموع هنا تساعد النفس على استكمال عمليّة الحداد التي توقّفت أو تأجّلت، ولذلك، يشعر بعدها براحة داخليّة.

وفي مثال آخر، قد يعيش إنسان سنوات وهو يحمل شعوراً بالخذلان من صديق أو شريك أو قريب. ومع مرور الوقت، يتحوّل الحزن إلى غضب أو برود عاطفيّ. لكنّه حين يتأمّل مشاهد الخذلان في كربلاء ويبكي، يبدأ بإدراك أنّ ما يؤلمه ليس الحدث القديم نفسه، بل الجرح العاطفيّ الذي تركه داخله.

واللافت أنّ الإنسان لا يبكي دائماً بسبب الحدث الذي أمامه مباشرة، فقد يبكي أثناء دعاء أو مجلس عزاء أيضاً؛ لأنّ الموقف الحاليّ يلامس جرحاً أقدم مخزّناً في الذاكرة العاطفيّة. ولهذا، نرى أشخاصاً يتأثّرون بدرجات مختلفة بالمشهد نفسه؛ فكلّ إنسان يحمل داخله قصّة مختلفة تستجيب لمعانٍ ورموز مختلفة.

*البكاء وسيلة للتشافي الجمعيّ

من الخصائص المميّزة للحزن الحسينيّ أنّه لا يُعاش في عزلة. فالمجالس العاشورائيّة ذات البُعد العاطفيّ تجمع الناس في حالة وجدانيّة مشتركة، حيث تتلاقى المشاعر، وتتقاطع الذكريات والآمال، ويتعزّز الشعور بالأمان والانتماء، وتخفّف مشاعر العزلة. لذلك، تتحوّل الدموع الفرديّة

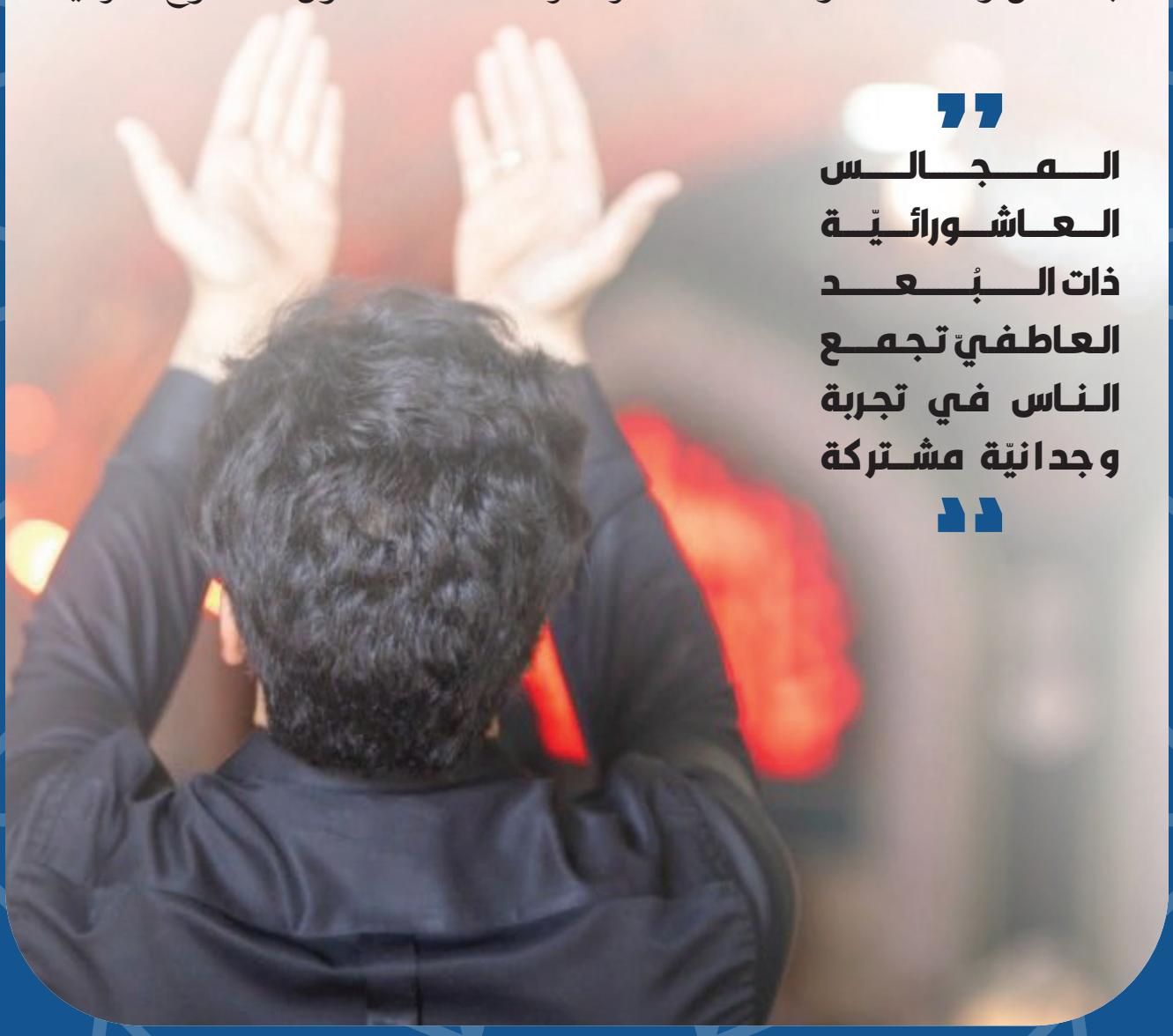

"المجالس العاشورائيّة ذات البُعد العاطفيّ تجمع الناس في تجربة وجدانيّة مشتركة"

في المجالس الحسينيّة إلى حالة مواساة وتضامن تمنح الكثيرين شعوراً بالراحة والاحتواء والقوّة أيضاً. وهذا الشعور لا يمكن تجاهله، فبالإضافة إلى تعزيزه المعتقد بالقيم الحسينيّة، فإنّه يبني الموقف الذي يحتاجه كلّ إنسان؛ وهذا بُعد إنسانيّ ناضج مبنيّ على التوافق بين العقل والمبدأ من جهة، وبين الشعور والعاطفة من جهة أخرى.

"الشعائر الدينيّة تمنح الألم معنى، وتحوّل المعاناة من تجربة عبثيّة إلى تجربة ذات مغزى"

*انقلاب معنى الألم

لا تكمن قوّة مجالس العزاء الحسينيّ في البكاء وحده، بل في الإطار الرمزيّ الذي يحتضن هذا البكاء. فالشعائر الدينيّة تمنح الألم معنى، وتحوّل المعاناة من تجربة عبثيّة إلى تجربة ذات مغزى.

في مجلس الإمام الحسين عليه السلام، ينتقل الإنسان من زمنه اليوميّ إلى زمن رمزيّ يعيش فيه أحداث كربلاء وكأنّها حاضرة أمامه. يستمع، ويتأمّل، ويحزن، ويبكي، ثمّ يخرج وقد حمل معه فهماً أعمق لمعنى الصبر والتضحية والثبات، بل مع سؤال يردّده اللاوعي: لو كنت هناك بينهم، ماذا سيكون ردّ فعلي؟ هل سأتصرّف مثل تلك الأمّ التي قدّمت وحيدها؟ هل سأتذكّر الله عندما أُبتلى بفقد أحد أحبّائي؟

ومع تعزيز التمنّي في كلّ أيّام الحسين عليه السلام من المحرم الحرام حتى أربعينه، ليتحوّل إلى عهد إيمانيّ: "يا ليتنا كنّا معكم"، يجد المؤمن نفسه أمام احتمال دائم ليعزّز ثباته أمام أيّ اختبار.

وهكذا، يصبح الحزن وسيلة لإعادة تفسير الألم الشخصيّ، فبدل أن يُنظر إليه بوصفه عبئاً بلا معنى، يتحوّل إلى فرصة للنموّ الروحيّ واكتشاف القوّة الكامنة في النفس. عندها، نتلمّس عمليّاً ما كنّا نؤمن به نظريّاً، فتتجسّد بشارة "إنّ الله مع الصابرين" حقيقة معاشة، نكتشف فيها أنّ الله كان لنا عوناً وسنداً، فلم يخذلنا أو يضعفنا.

*من الحزن إلى النور

في مدرسة الحسين عليه السلام، لا يُطلب من الإنسان أن يتجاوز الحزن بسرعة، بل أن يمنحه مساحة واعية للتعبير والفهم. ومن خلال هذا المرور الصادق بالألم، يمكن أن يتحوّل الحزن إلى بصيرة، والخسارة إلى حكمة، والدمعة إلى خطوة في طريق النموّ الروحيّ والنفسيّ.

الدموع في مجلس الإمام الحسين عليه السلام دليل على قدرة الانسان

المعاصـر الـذي لم يحضر ذلـك المنعطـف التاريخيّ، والشـعور مع المعنى والتفاعـل معـه، بـأن يتجـاوز النظـر إلى كربـلاء بوصفهـا مأسـاة تاريخيّـة فحسـب، إلى مدرسـة تبـدأ بدمعـة، وتُدخـل صاحبهـا في حـوار عميق مع إنسـانيّته وجراحـه وأسـئلته الكبرى.

وهنـا، يرتقي الإنسـان إلى مرتبة روحيّة يستشـعر فيها أنّ للألـم بُعداً إلهيّاً، مسـتلهماً مـا أسّسـه الإمام عليه السلام مـن يقين حين قـال: "هوّن مـا نزل بي أنّـه بعينـك". وعندهـا، يبرز التسـاؤل الجوهـريّ: أين يتجلّـى حضور الله في القلـب حين يطغـى الألم؟

هـذا السـؤال تحديداً ما تجيـب عنه الدمعـة الحسـينيّة، بل وتربّينـا عليه، بهـدفٍ يتجـاوز التمالك والثبات والتشـافي، إلى أن نكون حيـث يريدنا الله أن نكـون بموقـف ثابت واتّحاد بـين العقل والقلـب معاً.

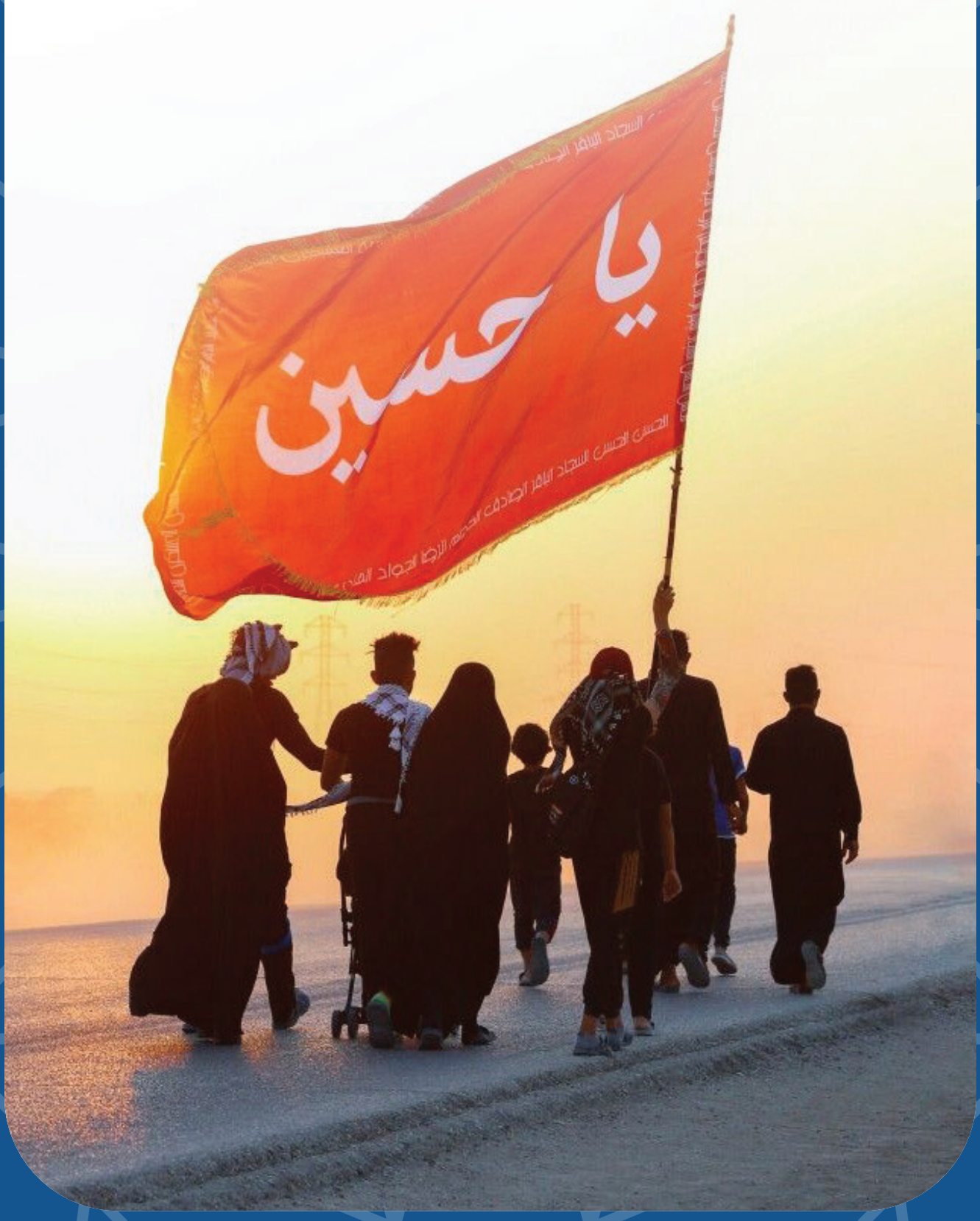

تحقيق

تشييع الإمام القائد:
15 مليون رسالة حبٍّ وتحدٍّ

تحقيق: نور رضا

على مدى أعوام إقامتي المتتالية في إيران، كنت أقصد ساحة الثورة أو ما يُعرف بالفارسيّة لدى كثيرين بـ"ميدان انقلاب"، للمشاركة في شتّى المناسبات التي كانت تُقام هناك؛ ومنها: ذكرى انتصار الثورة الإسلاميّة، حيث تُفرش خيم النشاطات المتنوّعة على جانبي الطريق الممتدّ من ساحة الثورة وصولاً إلى ساحة الحريّة (ميدان آزادي)، وكذلك يوم العاشر من المحرّم، وغيرها من المناسبات الدينيّة والثقافيّة.

*شوارع طهران تحتضن المحبّين

كان لـ"ميدان انقلاب" هذه المرّة نكهة مختلفة؛ فبينما كنّا سابقاً نرتاده لتشييع شهداء الجمهوريّة الإسلاميّة، فترتفع أصواتنا عالياً ونحن نردّد كما في العاشر من المحرّم: "لبّيك يا حسين"، إذ بنا نشيّع هذه المرّة شخصاً مختلفاً. حالي كحال

الكثيريــن في إيــران العزيــزة وخارجها، إذ لــم أتخيّل يومــاً أن أمــشي في تشــييع نائــب وليّ الله الأعظم الإمــام الخامنــئيّ الــذي كنّــا في كلّ مــرّة نلتقي فيه نصرخ بأعلــى أصواتنا: "روحي فداء لــك يا قائدي".

"كــلّ مــن كــان في طــهــران ومــشــهــد وقــمّ، ذرف دمــوع الفراق والشوق على ذاك الــقــائــد الــزاهــد"

كلّ مــن كان في طهــران ومشــهد وقمّ وشــارك في مراســم الوداع الأخير، ذرف دموع الفراق والشــوق علــى ذاك القائــد الزاهــد، صاحب النعــل الممزّق الــذي التقطتــه عدســات المصوّريــن في بعــض اللقــاءات -وهــو مــا يــدلّ على تواضعــه وزهــده الشــديدين-، مجدّديــن العهد والوعــد بالثــأر لدمــاء وليّ أمر المســلمين.

لقــد شــارك الملايين في تشــييع القائــد العزيــز، وهو حدث أيقظ عشــرات الآلاف مــن الضمائر وأحيا الكثير مــن القلوب. كانت الشــوارع ومحطّات المترو والباصات تعــجّ بالناس والصلوات المحمديّة، بشــكل لا تــكاد أصداؤها تتوقّف في أرجاء الجمهوريّة.

في خضــمّ هــذا التشــييع المهيــب، مــن الطبيعيّ أن يكــون ثمّــة تدافع بين المشــيعيّن بســبب الاكتظــاظ الكبــير. ومــا إن تنظــر في عيونهم، حــتّى تجدهم قــد غابــوا بدموعهم وحزنهــم عمّا يحصل حولهــم، فتهون عليهــم الصعوبات ويذوبــون في أجواء التشــييع.

وعلــى الرغم مــن حــرّ الشــمس، كان المنظّمون يرشّــون رذاذ المــاء البارد لمســاعدة الجماهير علــى تحمّل المشــقّة. قد تؤلمنــا أقدامنا طوال المســير، لكنّنــا، أبنــاء مســيرات الأربعين، قد اعتدنــا ذلك، فنمضي في حــبّ من نحبّ ولا نعبأ بالظــروف والصعاب.

تلك كانت حال المحبّين في شوارع طهران يومها.

*دموعٌ وحبٌّ واعتذار

رفضــت ريحانة، ابنة العشــرة أعوام، البقاء في المــنزل على الرغم من صعوبة الرحلة، فقــد كان عليها أن تجتاز بضعة كيلومترات لتســتطيع الوصول إلى مصلّى طهــران حيث الوداع الأخــير مع القائد الحبيــب. وقد أذهلني ما قالتــه: "لم أعد صغــيرة، وأنــا هنا لأطالــب بالثأر لــدم القائــد". لقد تعجّــب والداها من شــدّة صبرهــا؛ فهي عــادة ما ينفد صبرهــا بسرعة. لكنّهــا طلبت منهما المشــاركة في التشــييع المهيب ووعدتهما أنّهــا لن تخذلهما ولن تتذمّر ولو بكلمة، وســتصبر علــى التعــب والطقس الحارّ، ولــن تبالي بالصعوبــات كلّها. وما ريحانــة إلّا مثال بســيط على البصيرة النافذة والإخلاص لخــطّ الولاية.

أمّـا علي رضا، الشـابّ الثلاثيـنيّ الذي لم تجـف دموعه طيلة مسـيره، فكان يبكـي ويقول متأسّـفاً: "ما عذري يا سـيّدي، ونحـن لم نقـدّرك أو نعرفك كما ينبغـي؟ لقد غُـرّر بنا ودُفعنـا لمعارضة الثـورة ومعارضتك، كم كنّـا متسرّعين! اقبـل عـذري اليوم، وسـامحني". لم يكـن علي رضا النـادم الوحيد علـى مواقفه السـابقة، بل كان مشـهد المعتذرين جليّاً.

في مقلـب آخـر، تجد بهـار، الفتـاة العشـرينيّة التي تضـع حجاباً أسـود أثناء المسـيرة لإعلان موقفها، وتبكي، فتقول: "قالوا لنا إنّ النظام الإسـلاميّ يسـلب حرّيّاتكـم ويجبركم علـى الحجاب. إنّها كذبـة! لقد قتلوا قائدنا وأبانـا. أيّ حرّيّة يدّعـون؟! أنا اليوم أعاهدك سـيّدي القائـد أن ألتزم الحجاب وأدافـع عنه أيضاً، هذا خيـار السـيّدات الإيرانيّات اليوم".

*15 مليون مشيّع

لـم يتجلَّ حجـم المشـاركة في ملايين المحتشـدين فحسـب، بـل انعكس أيضـاً في الضغـط غير المسـبوق الـذي تعرّضت لـه البنيـة التحتيّـة العامّة في مختلـف أنحاء إيران. في طهران مثلاً، حيث احتشـد الملايين لتوديـع الإمام القائد الملهم، سـجّل نظـام النقل العام أرقامـاً تاريخيّة. فقد نقل مـترو طهران وحده أكـثر من 11 مليـون راكب خلال فترة الجنـازة، بما في ذلك نحـو 7 ملايين رحلة في السـاعات الأولى من المراسم.

في الوقت نفسـه، سـجّلت شـبكة الحافلات العامّة في المدينـة (BRT) أكثر مـن 6 ملايـين رحلـة، ليصل إجمـالي رحلات النقـل العـام إلى ما يزيـد على 17 مليـون رحلة. تكشـف هـذه الأرقام عـن حجم التعبئـة الهائل. فلـم يكن الأمر مجـرّد تجمّع جماهـيريّ، بل كان جهداً لوجسـتيّاً وطنيّاً ضخماً شـارك فيه ملايين الأشـخاص عبر مـدن عدّة.

تمثّل هـذه البيانـات رحلات المـترو والحافـلات فقط، ولا تشـمل الملايين الذين وصلوا بواسـطة المركبات الخاصّة أو الذين قطعوا مسـافات طويلة سـيراً على الأقدام للانضمام إلى مسـارات التشييع. ولتسـهيل حركة كبار السنّ وذوي الإعاقة، نُشـرت 1,500 مركبة خدميّـة أنجزت أكثر مـن 300,000 عمليّة نقل.

*توحيد جبهات المقاومة

لـم يقتصر التشـييع على إيران فقـط، وإنّمـا كان ثمّة جولة في العـراق أيضاً. وقـد أُفيـد عن مشـاركة أكثر مـن 2.3 مليون مشـيّع في النجف الأشـرف، فيما قُـدّرت أعـداد الحضور في كربـلاء بأكثر من 4 ملايين شـخص.

وقـد قدّرت مصادر إيرانيّـة وتقارير دوليّة عدد المشـاركين بين 12 و15 مليون مشـيّع على امتداد مسـار الجنازة، وقد شـاركت وفود رسـميّة وشـعبيّة من نحو

100 دولة، ولا سيّما دول الجوار، مثل العراق ولبنان وباكستان وأفغانستان والبحرين والكويت وغيرها. كما سافر الملايين إلى قم ومشهد، حيث أقيمت مراسم تأبين في مواقع دينيّة كبرى، لتتوّج عند مرقد الإمام الرضا عليه السلام حيث وُوري سماحة الإمام القائد قدس سره الثرى بجواره.

قدّرت مصادر إيرانيّة وتقارير دوليّة عدد المشاركين بين 12 و15 مليون مشيّع

*شهادة الإمام عزّزت القوّة

تكشف هذه الحشود جميعها عن عِظَم هذا الحدث الإقليميّ التاريخيّ، ومدى الحبّ الذي تكنّه هذه الشعوب لسماحة لإمام القائد قدس سره، هو مشهد لم يتحمّله الأعداء الذين كانوا يعملون على تحريض الشعوب المؤمنة، سدىً.

كان الهدف من اغتيال سماحة الإمام القائد قدس سره إضعاف الجمهوريّة الإسلاميّة ومحور المقاومة، لكن الواقع أظهر عكس ذلك؛ فدماء سماحته ضاعفت من التفاف الناس حولها، وعزّزت قوّة المحور، ووحّدت الصفوف أكثر من أيّ وقت مضى.

لذلك، فإنّ هذه الأرقام كلّها على امتداد المساحات الجغرافيّة المختلفة إلى ما هو أبعد من حدود إيران، تؤكّد أنّ الحدث بالغ الأهميّة ومتعدّد الأبعاد، وأنّ رمزيّة هذه الشخصيّة العظيمة النادرة في التاريخ قادرة على قلب المعادلات، وإن غيّبها الثرى.

سؤال وجواب

من انتصر في الحرب؟

د. أحمد الشامي

من المنتصر الحقيقيّ في هذه الحرب؟ سؤال يفرض نفسه بقوّة اليوم، لأنّ سرديّة الانتصار باتت تهيمن على المشهد العامّ. فمن جهة، يعلن الأمريكيّ ومعه الإسرائيليّ بأنّ النصر كان حليفهما في الحرب، بينما من جهة ثانية، لا يكتفي محور المقاومة بإعلان النصر فحسب، بل يصفه بالاستراتيجيّ أيضاً. وهذا ما يفتح الباب على سؤال يستحقّ الإجابة: من يحقّ له إعلان النصر؟

*الحقّ معيار النصر

تكمن أهميّة الإجابة عن السؤال المطروح في ابتعادها عن أسلوب المناقشة الكيديّة من أجل تبرير رفع شارة النصر، لأنّها غيمة آنيّة سرعان ما تنقشع لتفرض السؤال المطروح من جديد، لا سيّما، إذا كانت تداعيات هذه الحرب كبيرة وعميقة الأثر على المستوى الإنسانيّ.

مع الأسف، يجري الآن تنميط الوعي على التسليم بأنّه يحقّ لطرفَي الحرب -المعتدي والمعتدى عليه- ادّعاء النصر. وسرعان ما يدعَّم هذا الطرح بالمعيار المادّيّ أساساً له، فيقال: إنّ ذلك يحدث عندما تكون الحرب غير متكافئة عسكريّاً؛ فيوصف الطرف القويّ بالمنتصر لأنّه يقتل ويدمّر قدرات الخصم أو يسيطر على مناطقه، بينما يوصف الطرف المقابل، على الرغم من ضعفه العسكريّ، بالمنتصر

عندما ننتصر ننتصر وعندما نستشهد ننتصر

أيضاً لأنّه صمد، وحافظ على وجوده، ومنع خصمه من تحقيق أهدافه الأساسيّة.

وعلى الرغم من أهميّة المعيار المادّيّ، إلّا أنّه ليس الأساس في تحديد القويّ من الضعيف في صراع المعتدي والمعتدى عليه، بينما الحقّ هو المعيار الأهمّ، والذي يُبنى عليه من انتصر وهُزم. وهذا يعني أنّ من ينصر الحقّ ينتصر، سواء أَغلب عسكريّاً أم هُزم، لأنّه شتّان بين أن تدفع الأثمان الباهظة للحرب على مستوى الإنسانيّة من أجل أهداف محقّة، وبين أن تدفعها لأهداف باطلة.

***شارة النصر المرفوعة**

يأتي هذا التوصيف في وقت يعلن فيه معسكر المقاومة، المعتدى عليه، انتصاره في الميدان العسكريّ. وحتّى لا يقال إنّ تقديم هذا الطرح جاء للتعمية على الحقيقة، فمن المفيد التذكير بأنّ التأكيد نفسه قد قُدّم في العام 2024م، وحينها، لم تكن موازين القوى لمصلحة المقاومة؛ ومع ذلك، فقد رُفعت شارة النصر. بل إنّ الهدف من هذا الكلام يتجاوز الميدان، إلى إعادة تصويب ما يجري تنميطه في الوعي، لترسيخ يقين مفاده أنّ الحقّ هو الحليف الأبديّ والأصيل للمظلوم والمعتدى عليه.

> **على الرغم من أهميّة المعيار المادّيّ، إلا أنّه ليس الأساس في تحديد القويّ من الضعيف**

من هنا، نجد أنّ كثيرين تعاملوا باستخفاف مع مقولة سيّد شهداء الأمّة سماحة السيّد حسن نصر الله (رضوان الله عليه) عندما قال: "عندما ننتصر ننتصر، وعندما نستشهد ننتصر". ولكن في الحقيقة، ما كان لهذا القول أن يفعل فعله في الوعي لو لم يجرِ تثبيت القاعدة الأساسيّة: "ألسنا على الحقّ؟"، وهي المدخل الذي يعطي المشروعيّة لإعلان النصر، بصرف النظر عن النتائج العسكريّة، أو الأثمان التي دُفعت.

نتيجة لذلك، يمكن القول إنّ أمريكا والعدوّ الإسرائيليّ أمام هزيمة استراتيجيّة، لأنّهما بالأصل ظالمون ومعتدون، وقد جاءت الغلبة في الميدان لتجعل لهذا النصر أبعاداً استراتيجيّة.

«حَبّات القلوب»: لكلّ طفل شهيد قصة وحُلم

د.فاطمة خشّاب درويش

"هم ليسوا أرقاماً... هم أطفال لهم عائلات، وأمّهات، وآباء. كلّ قصّة فيها جرح، ومأساة، ومعاناة، وألم. إنّنا نذكرهم لكي نقاوم وننهض، ولأخذ العبر وشحذ الهمم وتبيان الحقيقة". بهذه الكلمات لخّص وزير الصحّة اللبنانيّ الدكتور ركان ناصر الدين جوهر مبادرة "حبّات القلوب"، خلال حفل إطلاقها، وهي مبادرة اختارت أن تفتح ملفّ الأطفال الذين استشهدوا خلال العدوان الإسرائيليّ 2023م- 2026م، ولكن من زاوية مختلفة: زاوية تعيد الإنسان إلى قلب الرواية، بعيداً عن اختزال الضحايا في أرقام وإحصاءات. تلخّص المبادرة رسالتها بشعارها: "نتذكّر. نقاوم. ننهض": فالتذكّر هنا يعني حفظ الأسماء والقصص، والمقاومة هي حماية الذاكرة والرواية، أمّا النهوض فيرتبط بإبقاء مساحة للأمل والتعافي والحياة.

*من معرض صور إلى منصّة توثيق

لم تبدأ مبادرة "حبّات القلوب" كمشروع توثيقيّ متكامل، بل انطلقت خلال العدوان من فكرة إقامة معرض للصور، بهدف الإضاءة على الجرائم التي طالت المدنيّين، والمساهمة في معركة الرواية والسرديّة المرتبطة بالحرب.

لكـنّ الفكرة سرعان ما تجاوزت حـدود المعرض، بعدما لاقـت تفاعلاً واسـعاً بين الناس عبر وسـائل التواصـل الاجتماعـيّ. بـدأت الصـور والأسـماء تصل، وظهـر متطوّعـون مسـتعدّون للمسـاهمة في جمـع المعلومـات والتحقّـق منهـا وتنظيمهـا، لتتحـوّل المبـادرة تدريجيّـاً إلى مشـروع توثيقـيّ ومنصّـة إلكترونيّـة تعمـل علـى حفـظ أسـماء الأطفـال وقصصهـم.

"جوهر المبادرة لا يرتبط بالموت وحده، بل بالحياة والقصص التي عاشها هؤلاء الأطفال"

يوضح الدكتور حسـام مطـر، صاحب المبـادرة، أنّ البداية كانت بسـيطة، لكـنّ حجم التفاعل كشـف عن حاجـة حقيقيّة إلى مشـروع منظّم، خصوصاً بعدمـا ظهر أنّ عـدداً كبيراً مـن الأطفال الذين استشـهدوا لـم يحصلوا على التغطيـة الإعلاميّة الكافيـة، لا سـيّما في المناطق البعيدة عـن مراكز المدن، حيث تضيع أحيانـاً تفاصيل الأسـماء والقصص.

*لماذا «حَبّات القلوب»؟

يحمـل اسـم المبـادرة دلالة تتجاوز التسـمية، فهـو يعكـس المكانة التي يحتلّهـا الأطفـال في وجـدان عائلاتهم ومجتمعهـم المقاوم. فهـؤلاء الأطفال، الذيـن توثّق المبادرة أسـماءهم وصورهم وقصصهم، ليسـوا مجـرّد ضحايا في سـجلّ الحرب، بل هـم "حبّات القلـوب"؛ أبناء و إخوة وأصدقـاء، لكلّ منهم عالمـه الخـاصّ وحضـوره الذي تـرك أثـراً في محيطه. مـن هنا، جـاءت فكرة "أنسـنة القصّـة"، أي إعـادة تقديـم الطفـل بوصفه إنسـاناً كاملًا لـه حياة سـبقت شهادته.

فالطفـل، كمـا يوضح د. مطر، ليس مجرّد اسـم يضاف إلى قائمة الشـهداء، بـل إنسـان له حيـاة كاملة سـبقت لحظـة استشـهاده؛ لـه أحلامـه وألعابه واهتماماتـه وشـخصيّته وذكرياته مع عائلتـه ورفاقه. من هنـا، جاءت فكرة إعـادة تقديـم هـؤلاء الأطفال عـبر الموقـع الإلكـترونيّ Habbat.org من خـلال قصصهـم، لا من خـلال إحصـاء أعدادهم فقـط، مؤكّـداً أنّ "جوهر المبـادرة لا يرتبـط بالموت وحـده، بل بالحيـاة والقصص التي عاشـها هؤلاء الأطفـال، لأنّ الهدف هـو أن يعرف الناس مـن كانوا قبـل أن يصبحوا ضحايا، وأن تسـتعيد أسـماؤهم معناها الإنسانيّ".

ويشـير مطـر إلى أنّ "الطفـل يختلـف في موقعـه داخـل أيّ حـرب، لأنّ الأطفـال لا ينتمـون إلى سـاحات القتال، ولا يحملـون مسـؤوليّة المواجهة، ولذلـك، فـإنّ اسـتهدافهم يحمل أثـراً إنسـانيّاً خاصّـاً؛ لأنّهم يمثّلـون الفئة الأكـثر بـراءة والأبعد عـن أيّ عمل عسـكريّ".

*تحويل البيانات إلى ذاكرة

خلف هذا المشروع التوثيقيّ جهد تطوّعيّ شارك فيه عدد من الأشخاص الذين انخرطوا في جمع المعلومات، وتدقيقها، ومراجعتها، في محاولة لبناء قاعدة بيانات دقيقة للأطفال الذين قتلهم العدوّ الصهيونيّ خلال العدوان.

ويشرح القائمون على المبادرة أنّ عمليّة التوثيق لم تعتمد على مصدر واحد، بل مرّت بمراحل عدّة بدأت من اللوائح الرسميّة الصادرة عن وزارة الصحّة، مروراً بما نشرته وسائل الإعلام والمواقع الإخباريّة ومنصّات التواصل الاجتماعيّ، وصولاً إلى عمليّات التحقّق المباشر مع العائلات وأبناء البلدات التي وقعت فيها الاعتداءات، بهدف تصحيح المعلومات الناقصة أو غير الدقيقة.

وقد تمكّنت المبادرة من إنجاز ما يقارب 90% من عمليّة توثيق بيانات الشهداء الأطفال بين عامَي 2023م و2026م، وفق المعايير التي اعتمدها فريق العمل، مع توفير معلومات أساسيّة عن كلّ طفل، تشمل: الاسم،

والعمـر، والصـورة، ومـكان الاستشـهاد، والبلدة، والجنسـيّة، إضافـة إلى تفاصيـل أخـرى مرتبطـة بـكلّ حالة. وقـد أحصـت المبادرة حـتّى الآن أكثر من700 طفل شـهيد منـذ خريف العـام 2023م، مـن اللبنانيّين والسـوريّين والفلسـطينيّين.

> **لم تعتمد عمليّة التوثيق على مصدر واحد، بل مرّت بمراحل عدّة بدأت من اللوائح الرسميّة الصادرة عن وزارة الصحّة، مروراً بما نشرته وسائل الإعلام**

*أكثر من قاعدة أسماء

يضـمّ الموقـع عـدداً من الأقسـام الـتي تعكس رؤيـة المبادرة، مـن بينها قسـم خـاصّ بالعائلات الـتي فقـدت أكثر مـن طفـل، بهـدف إبـراز البُعد الإنسـانيّ للقصـص الجماعيّـة التي خلّفهـا العدوان، إلى جانب قسـم الإحصـاءات الذي يحـوّل البيانات المجمّعة إلى مؤشّـرات رقميّة يمكن الاسـتفادة منها في الدراسـات والأبحاث.

كما يخصّص الموقع مسـاحة تحـت عنوان "قصص لا تُنسى"، تُروى فيها حيـاة الأطفال قبـل رحيلهم، مـن خلال الكتابـة عن شـخصيّاتهم وأحلامهم وتفاصيلهـم اليوميّـة، بما يعيد تقديمهم كأشـخاص لهـم حضور وذاكرة.

ولا تتوقّـف المبـادرة عند توثيق أسـماء الشـهداء الأطفـال والمعلومات الخاصّـة بهـم، بـل تخصّـص أيضـاً مسـاحة خاصّـة بالأطفـال الجرحى تحت عنـوان "درب التعـافي"، انطلاقـاً مـن رؤيـة تعتـبر أنّ الحكايـة لا تنتهي عند لحظة الإصابة. ويسـعى هذا القسـم إلى تسـليط الضوء علـى تجارب الأطفال الذيـن نجوا مـن العدوان، ومراحـل تعافيهم، وقصص قدرتهـم على تجاوز آثار الحـرب واسـتعادة حياتهم، لأنّ المجتمـع يحتاج إلى رؤية مسـارات النهوض والأمـل، إلى جانـب معرفة حجم المأسـاة.

*توثيق يخدم الذاكرة والملاحقة القانونيّة

بالإضافة إلى كلّ ما سـبق، تسـعى مبـادرة "حبّات القلـوب" إلى بناء مرجع توثيقـيّ يمكن الاسـتناد إليه في الدراسـات والأبحاث والإحصـاءات المتعلّقة بالأطفـال الذيـن فقدوا حياتهم خـلال العدوان.

فالمعلومـات الـتي جمعتهـا المبـادرة، بعد مراحل مـن التدقيـق والتحقّق، تشـكّل قاعـدة بيانـات تحفـظ تفاصيـل كلّ حالـة، بمـا يسـمح للباحثـين والإعلاميّـين والفنّانـين والجهـات الحقوقيّـة والقانونيّـة بالعـودة إليهـا عند دراسـة آثـار الحـرب أو توثيـق الانتهـاكات، بمـا يشـكّل جـزءاً مـن مسـار المسـاءلة، إذ تحتاج الجهـات القانونيّـة والحقوقيّة إلى بيانات دقيقة وأسـماء موثّقـة وشـهادات مرتبطـة بـكلّ حالـة عند العمـل علـى إثبـات انتهاكات

العدوّ الصهيونيّ وملاحقة المسؤولين عنها. وبهذا، تتحوّل المبادرة من مشروع إنسانيّ لحفظ قصص الأطفال إلى أرشيف مفتوح للذاكرة والبحث والحقوق.

تخصّص المبادرة أيضاً مساحة خاصّة بالأطفال الجرحى تحت عنوان «درب التعافي»

*«ولادنا مش أرقام»... شهادات من العائلات

أمّا بالنسبة إلى العائلات التي فقدت أطفالها، فلا تبدأ الحكاية عند لحظة الاستشهاد، بل تمتدّ إلى كلّ التفاصيل التي صنعت حياة هؤلاء الشهداء قبل رحيلهم.

يرى الحاج أبو علي زيعور، والد الشهيدين جهاد وفاطمة، أنّ أهميّة المبادرة تكمن في أنّها أعادت للأطفال حضورهم الحقيقيّ، بعدما أصبحوا في كثير من الأحيان مجرّد أرقام عابرة في سياق أخبار الحرب.

يقول زيعور إنّ ابنه جهاد وابنته فاطمة كانا طفلين لهما اسم وحياة وشخصيّة وأحلام ومستقبل. فـ"جهاد"، على سبيل المثال، كان طفلاً محبوباً ومجتهداً في المدرسة، وناشطاً في الكشّافة، وصاحب شخصيّة مرحة ومميّزة.

ويضيف: "لقد ساهمت هذه المبادرة في خلق قصّة عن هؤلاء الأطفال الشهداء، بحيث بات الناس يعرفون أنّ لكلّ واحد منهم عائلة وحياة وأحلام".

*«ما رأيت إلّا جميلاً»

من جهتها، تروي السيّدة نغم حمود، والدة الشهيدة مريم، التي ارتقت وعمرها لا يتجاوز خمس سنوات ونصف، تجربة الفقد ومعنى أن تبقى قصّة الطفل حاضرة رغم الغياب، وتقول: "إنّ الإنسان منذ ولادته يتربّى على مبادئ وقيم، ونحن تربّينا على مدرسة أهل البيت عليهم السلام وثورة كربلاء، فتعلّمنا مواجهة المواقف الصعبة والصبر على الابتلاءات"، مضيفة: "لقد خسرت ابنتي على يد أشرار العصر (إسرائيل وأمريكا) من دون ذنب. الفقدان صعب وأنا أمّ، ولكنّ السيّدة زينب تبقى حاضرة في ذهني؛ فكلّما اشتعل قلبي شوقاً وألماً، رددت قولها (ما رأيت إلّا جميلاً)".

وترى حمود أنّ مبادرة "حبّات القلوب" تكتسب أهميّتها في أنّها تعيد للأطفال أسماءهم وحضورهم، وتُوصل صوت العائلات التي فقدت أبناءها إلى العالم كلّه، وهي تشكر القيّمين على هذه المبادرة التي تكشف بوضوح عن وحشيّة هذا العدوّ.

مجتمع

المبادرات الفرديّة في الأزمات...
جبهةٌ أخرى (2)

تحقيق: زينب نعمة

العطاء هو مفتاح السعادة وجوهر الإنسانيّة؛ فعندما يربط الإنسان سعادته بالبذل لا بالأخذ، تصبح الحياة أكثر جمالاً ومكاناً أفضل للعيش، وتسود العدالة المجتمعيّة بعيداً عن كلّ أشكال الفرديّة والأنانيّة. هنا، يبرز الفرق بين من يستهلك ليُفرح نفسه، وبين من ينفق ليُسعِد الآخرين. يتجلّى هذا المعنى الأخير بشكل أعمق في أوقات الحروب والأزمات الإنسانيّة والاجتماعيّة.

نطلّ في هذا المقال على مجموعة أخرى من المبادرات الإنسانيّة التي وقفت إلى جنب الناس في أصعب الأوقات وأشدّها محنة.

*مبادرة موقع «اعرف عدوّك» و «منصّة 24 الإخباريّة»

إنّ جوهر العمل الإعلاميّ لا يقتصر فقط على نقل الأخبار ومتابعة الأحداث ورصدها، بل أن يكون وسيلة للمساندة الإنسانيّة في هذا الزمن الصعب والقاسي، حيث يواجه الإنسان تحدّيات جمّة على الصعد كافّة.

1. البداية والانطلاق

في فـترة ما قبل الحـرب، انطلقت مبـادرة موقع "اعرف عـدوّك" و"منصّة 24 الإخباريّـة" لتقديـم الخدمـات الإنسـانيّة، وشـملت تأمـين حـالات استشـفائيّة صعبـة وبعض الأدوية، وسـداد ديـون بعض العائـلات، وغيرها الكثـير مـن الخدمـات. ومـع انـدلاع الحـرب (العصـف المأكـول) في العام 2026م، اجتمعـت إدارة الموقـع والمنصّـة المؤلّفـة من السـيّد محمّد رضا والأسـتاذ هشـام جابر والحـاجّ علي زنيـط، وأُطلقت مبادرة لمسـاندة الأهالي النازحـين، كوجـه من أوجـه المقاومـة والصمود.

2. الخدمات والمساعدات

في حديـث لمجلّـة بقيّـة الله، أكّـد صاحـب المبـادرة الحـاجّ علـي زنيط أنّهـا هدفـت إلى دعـم الجبهـة الاجتماعيّة عبر مسـاندة الناس بعـد الخروج القسريّ مـن قراهم بسـبب العدوان الإسرائيلي الغاشـم، وذلـك انطلاقاً من الإحسـاس بالمسـؤوليّة تجـاه المواطنين.

وقد حرصت المبادرة علـى تأمين مجموعة من الأمور، من بينها:

- توفير وجبات الإفطار يوميّاً للنازحين خلال شـهر رمضان المبارك.
- تأمين خدمات طبّيّة وأدوية للناس المرضى، لا سـيّما الأمراض المزمنة.
- تأمـين حليب وحفاضات للأطفال النازحين.
- تأمـين مـواد غذائيّـة لآلاف الأسر النازحة، كذلـك المسـاعدات النقديّة في حـال الضرورة.
- تأمـين مياه الشـرب بشـكل يوميّ للناس، كذلـك المسـاعدة في تعبئة مياه الاستخدام.
- تأمين الخيم لعشـرات العائلات النازحة التي لم تستطع إيجاد مأوى.

- تأمين الباصات التي تنقل الناس من الأماكن المهدّدة والتي كانت تتعرّض للقصف اليوميّ إلى أماكن آمنة، مع ما تحمله هذه المبادرة من مخاطرة وتحدّيات، إلّا أنّها كانت ضروريّة لحماية الأرواح. كذلك تأمين باصات للعودة بعد وقف إطلاق النار.
- تأمين خدمات فرديّة بحسب الطلب، مثل: تعبئة غاز، تأمين دواء أو دخول مستشفى، أو حتّى خدمات استشفائيّة ضروريّة وطارئة، وغيرها الكثير من الخدمات.

هذه المبادرة استطاعت أن تساعد أكثر من 1300 عائلة نازحة بمبالغ تبرّعت بها الأيادي البيضاء والناس الرحيمة، وقد وصلت المبالغ إلى حدود 94500 دولار.

"أكّد الحاجّ علي زنيط أنّ المبادرة هدفت إلى دعم الجبهة الاجتماعيّة عبر مساندة الناس"

كانت نداءات المساعدة تتعمّم على مجموعات الموقع والمنصّة، إضافة إلى منصّات التواصل الاجتماعيّ، فيقوم المواطنون الكرماء بالتبرّع عبر حسابات تطبيق "الويش" على مدار الساعة.

ومن هذا المنبر، تتوجّه إدارة موقع "اعرف عدوّك" و"منصّة 24" بالشكر والامتنان إلى كلّ المتبرّعين من أطيافهم وفئاتهم كافّة، من داخل لبنان وخارجه، إذ إنّ مساهماتهم الماديّة أدّت إلى تعزيز أدوات الصمود ومساعدة الناس على تحمّل مشقّات الحرب.

*مبادرة «يداً بيد للطفولة»

من قلب التعب والألم تولد نفحات من الأمل والتضامن، هي قلوب معطاءة جسّدت معاني الخير والعطاء لتجعل غيرها أفضل حالاً.

كلّ إنسان من موقع اختصاصه يستطيع أن يقدّم مساندة ما لمساعدة غيره. انطلاقاً من هذا المبدأ، انطلقت مبادرة "يداً بيد للطفولة" إيماناً منها بالمسؤوليّة المشتركة تجاه الأطفال وذويهم، خصوصاً في ظلّ التحدّيات الكثيرة التي يواجهها أفراد المجتمع، وحرصاً على مواكبتهم خطوة بخطوة.

أطلقت المبادرة كلّ من المعالجتين نور طاهر وفاطمة حمدان من أجل دعم الأطفال، ومن بينهم ذوو الاحتياجات الخاصّة، وكذلك لمساعدة الأهل في اجتياز هذه المرحلة، عبر مجموعة على الواتس آب تضمّ عدداً من المعالجات الجاهزات لمساعدة الأمّهات في حلّ المشكلات السلوكيّة التي يعاني منها أطفالهنّ، لا سيّما تلك المرتبطة بالحرب والنزوح. وفي

حديـث للمجلّة، أكّـدت المتخصّصـة في الطفولة المبكرة والتدخّل السـلوكيّ هبـة يحـيى أنّ المشـكلات السـلوكيّة والتربويّـة يجـب أن تتـمّ متابعتها عبر إعطـاء التوجيهـات اللازمة للأهل، وكذلك مـن خلال إقامة نشـاطات تفريغيّة للأطفال بشـكلٍ متواز.

كذلـك، كان ثمّة اهتمام بأيتام الشـهداء عـبر ورش تفريغيّة وتوزيـع الهدايا. وقـد تمّت هذه المبـادرة بالتعاون مع 6 معالجات في مختلف المجالات النفسـيّة والسـلوكيّة. وأكّـدت هبـة أنّ الاهتمـام بمواكبـة الأطفال، لا سـيّما علـى الصعيد الروحـيّ والنفسيّ، أمر مهـمّ للغاية، وخاصّة في فترة الحـرب، وما احتوته مـن تحدّيات نفسـيّة وسـلوكيّة يوميّـة صعّبت على الأهـل مهمّة التربيـة، وجعلتهـم يفكّـرون في كيفيّة إعادة ضبط سـلوكات أطفالهم، ومعالجة المشـكلات اليوميّة الـتي يختبرونها.

ساعـدت مبـادرة «يـداً بيـد» مئات الأهـالي والأطفـال على إعـادة برمجة سـلوكـهـم

وقد سـاعدت هذه المبادرة المهمّة مئات الأهالي والأطفـال على إعادة برمجة سـلوكهم والتأقلـم في الواقـع الجديد الذي فرضته الحرب، سـواء عـبر النزوح أو الفقـد، أو غيرها من نتائـج الحرب الصعبة.

*مبادرة فرديّة صنعت فرقاً

هي مبـادرة فرديّة انطلقت لتأمين المسـلتزمات الأساسـيّة للنازحين والأيتام علـى مختلف الأراضـي اللبنانيّة. وفي حديث للمجلّة، أكّدت السـيّدة تمام بلحص (شـيماء) أنّ مبادرتهـا بـدأت عبر تأمـين الحليـب والحفاضات لبعـض الأطفال النازحين في الشـمال، فاسـتطاعت هذه المبادرة، بدايةً عبر المتبرّعين من خارج لبنـان أن تنمـو تدريجيّـاً، لتمتدّ لاحقاً لتشـمل لبنـان كلّـه، إلى أن وصل عدد العائـلات الـتي تلقّت المسـاعدات إلى حدود الـ700 عائلة، عـبر تأمين مختلف المسـتلزمات والاحتياجـات. أمّـا أبـرز الأمور الـتي حرصت "مبادرة شـيماء" علـى تأمينها فهي: المـواد الغذائيّة، والمنـازل، والأدويـة، والملابس، والخضار والفواكـه، والخبز، ومياه الشـرب، والحليب، وحفاضـات للأطفال.

وقد سـاعدت هذه المبـادرة أكثر من ألف نازح خلال فترة الحرب، وأسـهمت في تحسـين الواقـع الصعب الـذي كانوا يعانون منـه بفعل النزوح ومـا خلّفه من تداعيات.

هي مبـادرات فرديّة تصنع فرقـاً؛ إذ إنّ قضاء حوائج النـاس من أعظم أبواب الخـير، وهي نعمـة كبيرة وباب للأجـر الجزيل، ومـن أحبّ الأعمـال إلى الله عزّ وجلّ. ولا ننسى أنّ من يسـعى في تفريج هموم الآخرين ومسـاعدتهم وتيسـير أمورهم، سـيرزقه الله الرضـا في الدنيا ويثقل ميزانه ليوم النشـور.

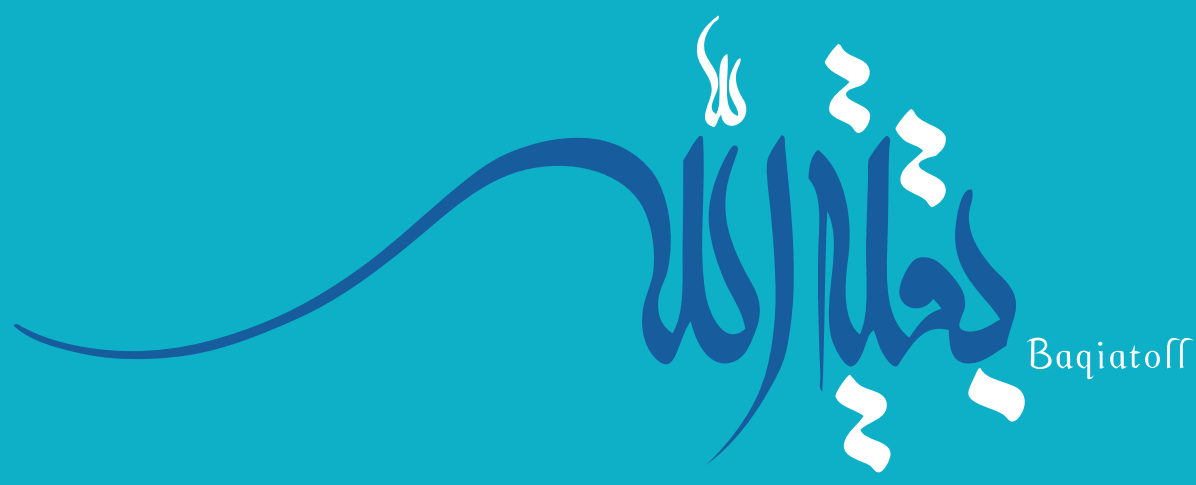
Baqiatoff